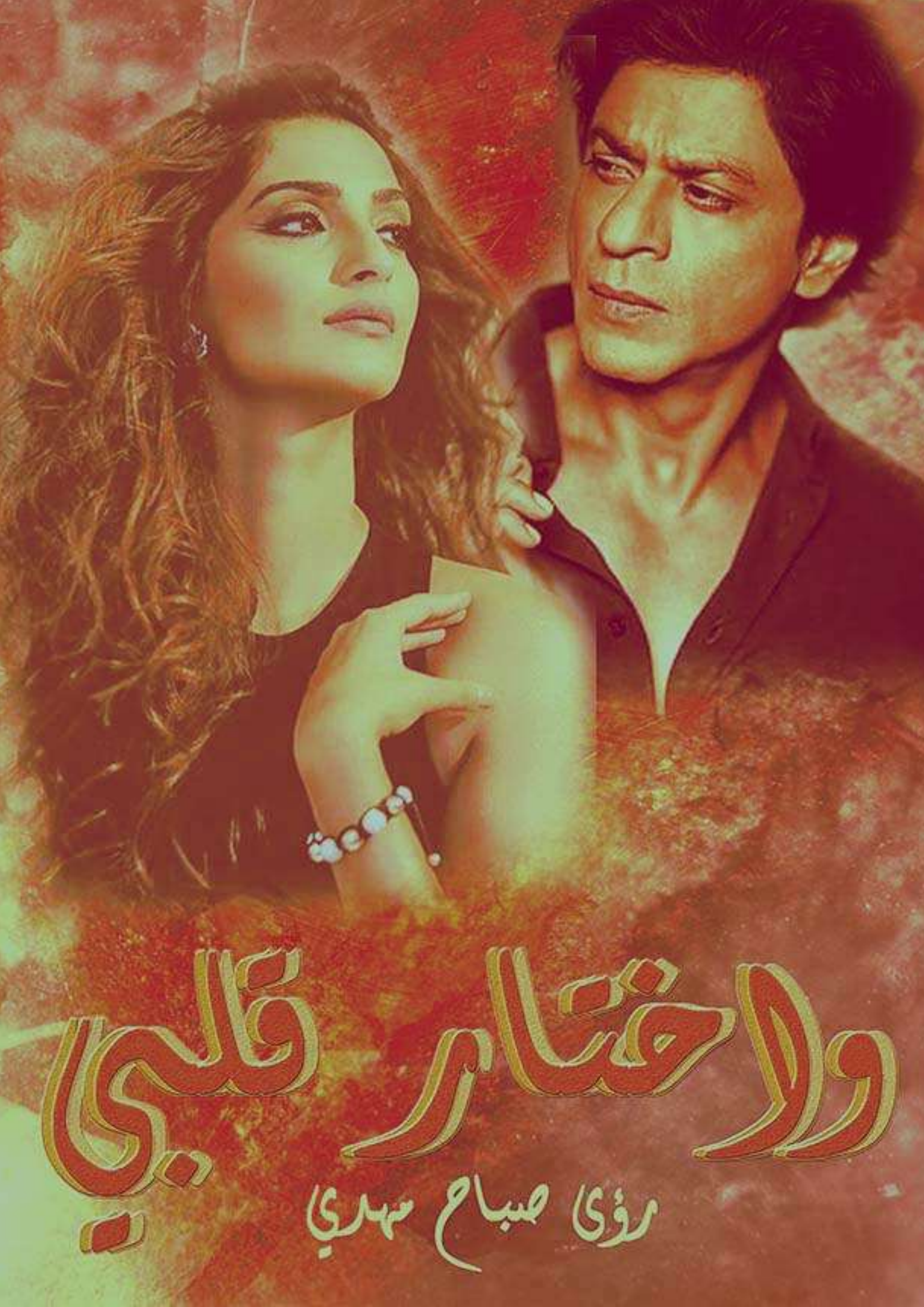

واختار قلبي
رؤى صباح مهدي

الفصل الاول

كانت القهوة مزدحمة بشدة بمرتاديها الذين تعودوا التزاحم فيها في مواسم كرة القدم كي يشاهدوا المباريات ويدخنوا الاركيلة. كان مشجعي الفرق المتنافسة يجلسون في مجاميع منفصلة يتبادلون الشتائم والسباب فيما بينهم وفي كثير من الاحيان يطلقون الاعيرة النارية بعد فوز الفريق الذي يشجعونه محتفلين بالفوز غير مبالين بسلامة السكان .

على طاولة في احد الزوايا جلس ازهر المعروف بمزاجه الذي يتغير بدون انذار وجنونه الذي يُطلق عنانه عند فوز فريقه المفضل وبسبب طباع ازهر فان الكل يتجنبه عند خسارة فريقه فهو صعب المراس في مجمل الاحيان تربى في منزل لم يعلمه معنى ان يخسر او ان يكون ثانيا. لم يرفض والداه له اي طلب وكان دائما المفضل على اختيه ريم ووفاء . غروره اوصله الى ابعد ما يمكن ان يكره في الانسان ومساندة عائلته له كانت بلا حدود. على الجانب الاخر وبين اصدقائه كان يجلس جمال جار ازهر منذ الطفولة. وجمال لاعب كرة قدم سابق ومدرب حاليا لذا فهويعرف الكثير من الحيل التي يعلمها لاصدقائه

عن كرة القدم وكيفية لعب الفرق المتنافسة. كان جمال يتكهن الخطوات التي يقوم بها كل فريق وكيفيه الرد عليها بذكاء حاد مثيرا اعجاب كل الموجودين الا واحد. وبرغم ان جمال لا يحمل اي بغضاء لازهر بل على العكس هو يحاول ان يكون ودودا معه قدر الامكان كان ازهر يفتعل المشاكل مع جمال على الدوام.

صاح جمال سعيدا بالهدف الذي حققه فريقه المفضل بينما بدا اصحابه يضحكون ويهللون ويتبادلون الشتائم مع مشجعي الفريق الثاني . جاء الهدف في لحظة حرجة جدا حيث حقق التعادل في الوقت بدل الضائع وهو ينبا بضربات الترجيح لا محالة. هذا ما قاله جمال الخبير بكرة القدم لاصحابه بينما صاح ازهر من ركنه الذي تكور فيه مع ٢ من اصدقائه الاوفياء:

"كفاك يا جمال فانت لا تكف عن التظاهر بكونك خبير بينما كل ما تقوله نعرفه جميعا"

ابتسم جمال وهو ينظر الى ازهر من خلف ابتسامته الهادئة الواثقة ولم يجب ازهر فقد اسكته شيئين. الاول ثقته بنفسه والثاني ريم اخت ازهر التي كان جمال معجبا بها. سكوت جمال اثار حنق ازهر الذي صاح منفعلا :

"على كل حال يا جمال ضربات الترجيح ستكون في صالحنا"

ثم عاد بعدها الجميع لمتابعة المباراه التي انتهت كما تنبا ازهر. فاز فريقه وخسر فريق جمال وانفض الجمع الغفير مع الكثير من الصيحات والهتافات السعيدة. ركب مناصروا الفريق الفائز في سيارتهم كي يذهبوا في جولة حول المدينة احتفالا بالفوز اللذيذ. وقد كان ازهر ينوي الاحتفال بطريقة مختلفة حيث احضر مسدس والده الذي كان يعمل في الجيش وقرر اضفاء بعض الاثارة على الاحتفال وبدا باطلاق العيارات النارية والهتاف باعلى صوته ثم صاح بجمال شامتا:

"ربما في المرة القادمة يا جمال "

واطلق عيارا ناريا قبل ان يرفع يده الى اعلى وهو في غمرة من السعادة ونشوة الانتصار تغمره. ثم غادرت السيارة التي كان يركب فيها ازهر بسرعة

مخلفة خلفها العجاج الكثيف الذي يخنق الانفاس . لم ينظر قط الى الوراء ليرى مافعلته رصاصته الطائشة التي اطلقها بلا تفكير. لقد اصابت هذه الرصاصة شخصا لم يكن من المفترض ان يصاب بل كان من المفترض ان يعود الى والده المسن ووالدته المريضة سالما. اخته المتزوجه خارج البلد بالتاكيد ستصيبها الصدمة عندما تعلم ماحل به ولكن الاكثر ان والديه اللذان سيتأثران من هذه الرصاصة التي اصابته اكثر من اي شخص اخر فهو معيلهما الوحيد بالاضافة الى الراتب التقاعدي الذي يتقاضاه الاب عن سنوات الخدمة التي عملها. الطلقة التي اطلقها ازهر ستؤثر ايضا على حياته وحياة عائلته.

تجمع اصحاب المجروح مصدومين بينما نفثت سيارة ازهر دخانها غير مبالية بما يجري ولا دارية بما يحصل . كلموا سيارة الاسعاف بينما حاولوا ايقاف النزيف المتدفق من ظهر المجروح . كانت يتاوه الما ويهمس باكيا :

"لا تخبروا عائلتي الان لا تخبروهم "

ثم اغمي عليه وهو يتنفس بصعوبة بالغة واصحابه يحاولون جاهدين ان يجروا له التنفس الاصطناعي ولكن كان الالم والاجهاد وتدفق الدم اكبر من

ان يحتمله حتى ذلك الجسد الممتلئ بالعضلات والقوي . شبابه ونضارة بشرته وقوته البدنية كانت اقل من ان تدعم رغبته في البقاء لذا بدا تنفسه يتلاشى شيئا فشيئا حتى اصبح لا يسمع له لا شهيقا ولا زفير وصاح احد اصدقائه :

"لقد مات يا الهي لد مات لا استطيع سماع صوت تنفسه "

بينما صاح الاخربهستيريا وهو يشير باصبعه :

"سيارة الاسعاف! تعالوا الى هنا انه هنا "

كان المسعفون يحاولون ان يسعفوه قدر الامكان وسط بركة الدماء التي كان مستلقيا فيها بينما كان رجال الشرطة يحاولون ان يبعدوا الناس المتجمهرين حوله والذين كانوا يريدون ان يعرفوا مصيره وقد امتلا الشارع بهم حيث خرج الجميع من بيوتهم على صوت سيارة الشرطة والاسعاف وصراخ اصدقائه الجميع الا عائلته التي كانت تسكن في اخر الشارع. اخرج المسعفون جهاز تنشيط ضربات القلب الكهربائي لان قلبه قد توقف ثم بدأوا ينشطون قلبه المتعب بينما ينظر احدهما للاخر وهو يهز راسه يائسا من

محاولة انقاذه. مرت الدقائق الحرجة مليئة بالصراع بين المسعف الخائف من ان يموت هذا الشاب وبين القدر وما يخبئه للشاب فهل سيموت اليوم ام ستكتب له الحياة.

بعد محاولات متواصلة استطاع المسعف ان يحصل على نبض وتهللت اساريره فرحا وبشرى ونادى على المسعف الاخر الذي كان يحاول ايقاف النزيف الذي تسببت به الرصاصة التي دخلت من ظهر الشاب وخرجت من بطنه. كان امرا مستحيلا وقد توجب عليهما ان ينقلاه الى السيارة وان يضعا السوائل في وريده وان ينقلاه الى المستشفى باسرع وقت ممكن كي ينقلوا الدم له فقد فقد الكثير من الدماء.

نقلاه الى السيارة بسرعة وباسرع من البرق كان المجروح يتلقى العناية الطبية التي يحتاجها قبل دخوله الى غرفة العمليات لاجراء جراحة سريعة له بعد ان تبين انه مجروح برصاصتين وليس واحدة وان احد الرصاصات خرجت بينما تستقر الاخرى في عموده الفقري!

ذهب اصدقائه معه الى المستشفى ولم يخبر احد عائلته بالامر فوالده لن يتحمل الصدمة ولكن بعد اصرار الطبيب على اخبار عائلة الشاب بالامر اضطر صديقه سهيل ان يكلم والديه قريب الفجر . هرع الاب والام الى المستشفى والتقوا سهيل هناك. صاح الاب بحرقة:

"سهيل بني ماذا حصل؟ اين جمال؟"

اجابه سهيل وهو دامع العينين:

"انه في غرفة العمليات منذ اربع ساعات. لقد اصابته رصاصة طائشة يا عمي وحالته حرجة"

ساله الاب وسط نواح الوالدة المثكولة:

"كيف حصل هذا ومن فعله؟"

اجابه سهيل مترددا:

"بعد الفوز بالمباراة قام احدهم باطلاق بعض الطلقات النارية واصابت احداهما جمال بالخطا"

تردد سهيل بذكر اسم مطلق النيران لسبب وهو ان عائلة جمال وعائلة ازهر جيران منذ سنوات طوال وهذا الامر سيتسبب بهدم العلاقة بين الجارين بالتاكيد وسهيل لم يكن يريد ان يكون هو ناقل الخبر. جلس الرجل العجوز ووضع يديه على راسه وهو يبكي على ابنه المسكين بينما كانت الوالدة تشهق وقد بدت مثكلة وحزينة بشكل لا يمكن للعقل تخيله. مرت ساعة على وصول العائلة حتى خرج الطبيب الجراح واخبرهم ان في جعبته خبران احدهما جيد والاخر سئ وطلب من الاب ان يجلس قبل اخباره بالنتيجة. فتوجس الوالد خيفة فكلام الطبيب لا يطمئنه فهل نجحت العملية ام لا . كان عقله متعب من كثرة التفكير وقلبه اثقل بما لا يتمناه مرء لعدوه. نظر الى عكازه الخشبي وتشنج وجهه وهو ينتظر الطبيب ان يخبره بما جرى لولده فمستقبل الشاب يعتمد على اللحظات القادمة نادى الطبيب على الممرضة التي احضرت بعض الماء للوالدين ثم قال :

"لقد نجحت العملية ولكن..."

تسارعت دقات قلب الاب العجوز وبدا تنفسه يتزاحم حتى اصبح لا يقوى على التنفس فكلمة لكن تعني ان امرا سيئا جدا قد حصل. اكمل الطبيب وسط نظرات الوالد المتلاحقة وهو يتابع كلام الطبيب:

"لقد تاذى عموده الفقري بشكل كبير جدا . ربما لا يمشي الى الابد"

فكر الاب للحظة ان هذا ليس سيئا مادام ابنه سيعيش. وتنفس الصعداء ثم سال الطبيب وفي صوته بحة البكاء :

"هل هذا كل شئ"

تعجب الطبيب من سؤال الاب الذي لم يسقط من هول الصدمة وقال وهو يبتسم للاب كي يطمئنه معجبا بشجاعة الاب وصبره:

"نعم ماعدا هذا هو سيعيش. سيبقى في المستشفى لبعض الوقت حتى يتعافى وستتمكنون من رؤيته بعد اربع او ٥ ساعات ولكنه سيكون مجهد وربما لن يتجاوب معكم"

ابتسم الاب وقال :

"لا باس شكرا لك يا بني "

ترك الطبيب الاب وذهب في طريقه لمعاينة مريض اخر بينما اقترب الاب من الام وهو يبتسم وقال لها كي يهدئها:

" كفاك بكاء فابننا سيعيش"

نظرت اليه الام مهللة الوجه فابى ان يخبرها بالباقي وقرر اخبارها في وقت اخر كي يكون وقع الصدمة عليها اقل. جلست الام وهي تبكي بكاء اقل حدة وجلس الاب على كرسي قريب منها وهو يتمتم بكلمات يشكر الله فيها على سلامة ابنه. اقترب منه سهيل وسأله هامسا:

"اراك سعيد يا عمي رغم ان جمال لن يتمكن من الوقوف مجددا سيكون مقعد لبقية حياته"

اجابه الرجل العجوز:

"يا بني عندما تفترض الاسوء يهون السيء. الحمد لله على سلامته والطبيب قال ربما ، ولم يقل مستحيل".

طلع الفجر بطيئا حزينا يروي العطشى الى الحزن من دموعه المنهارة على وجوه عائلة جمال بينما عاد ازهر الى المنزل بعد حفلة صاخبة تعبا منهكا وذهب مباشرة الى غرفته لينام . بعد ساعة استيقظ على صوت جرس المنزل ودقات الباب القوية. ذهب مع جميع افراد العائلة كي يستطلعون من القادم وقد كانت البوليس على الباب. سالهم الاب وهو يفرك عينيه فقد استيقظ على صوت طرقاتهم:

"ماذا هناك؟"

اجابه الشرطي بحزم:

"ابنك متهم بجريمة اطلاق النار على رجل والان يجب ان ياتي معنا"

ثم اشار الى شرطيين اقل رتبة منه كي يقبضوا على ازهر الذي كان لا يعي شيئا ولم يفهم سبب القبض عليه. صاحت الام بهم كي لا يأخذوا ابنها وبكت وتوسلت بهم ولكن الشرطة وضعت ازهر في سيارتهم وانطلقوا الى مركز الشرطة.

ذهب الاب والام الى مركز البوليس خلف ولدهم بسرعة ليستعلموا عما حصل فهم علموا بشان اطلاق النار في حيهم وان احدهم اصيب ولكنهم لم يولوا الامر الكثير من الاهمية ولم يات على بالهم ان ابنهم هو الذي اقترف ذلك الجرم ولم يكن الامر مهما لهم حتى علموا انه يمسهم في الصميم. سال الاب رجل الشرطة وهو يتوسله ان يخبره عما حصل فقال له رجل الشرطة عما فعله ازهر . كانت صدمة شديدة على الاب الستيني والام المسكينة حيث وقعت على الارض من هول الصدمة وبالذات عندما علم ان الشاب المتضرر هو ليس سوى جمال ابن صديقه الذي يحوز على احترام وحب الجميع. اتصل الاب على هاتف والد جمال فرن الهاتف ولم يجب احد فاتصل مرة اخرى وهو لا يعرف ما يفعل .

كان والد جمال ينظر الى هاتفه وهو سعيد باتصال صديقه العزيز وهو لايعرف ان صديقه هو نفسه والد مطلق النار. قال والد جمال بصوت مبحوح وهو يشكو لصديقه بحرقة:

"كيف حالك يا ابو ازهر . لقد اصيب جمال وهو في المستشفى، لقد اصيب صاحب القلب الكبير"

اجابه والد ازهر من الجانب الاخر وهو مختنق بدموعه وقد خمن ان والد جمال لا يعرف بان ابنه ازهر من اصاب جمال:

"انا اعلم يا حاج . اين انت الان ؟"

اجابه الشيخ :

"في المستشفى انتظر ان يستفيق جمال"

اخبره والد ازهر انه سياتي الى المستشفى كي يراه ويتكلم معه ثم اقفل الخط وهو في حيرة من امره. التقى بازهر ابنه وهو حانق عليه ولكنه في نفس الوقت خائف عليه. قال له معاتبا:

"لماذا يا ازهر لماذا . لقد اخذت مسدسي بدون موافقتي وكدت تقتل ابن جارنا. كيف اصبحت طائشا الى هذه الدرجة لقد خيبت ظني فيك يا ولدي"

اجابه ازهر بدون ان يولي الموضوع الكثير من الاهمية :

"متى ساخرج من هنا يا ابي. جمال لم يمت فلما انا لا ازال في الحبس؟"

اغمض الوالد عينيه فقد واجه بنفسه نتيجه تدليل هذا الفتي وعليه الان ان يواجه نتائج استهتار ابنه. اجابه الاب بحزم:

"قد لاتخرج لوقت طويل فما فعلته سيضعك في السجن لفترة طويلة "

ثم نهض الاب تاركا الام كي تودع ابنها وخرج من غرفة المقابلة. خرجت الام بعده مرغمة بعد ان حضر الشرطي واقتاد ابنها الى حبسه. قال الشيخ المسن الى زوجته:

"سنوكل محامي لازهر ولكن قبلها ساذهب لرؤية جمال في المستشفى فقد تربى هذا الفتى في منزلنا وعائلته اصدقائنا منذ سنين كثيرة. انظري مافعل ابنك بنا. خاب في التعليم وخاب في الحياة وها هو يقودنا الى الهاوية. كيف سانظر الى الرجل وابني كاد ان يقتل ابنه الوحيد، الان يجب ان اتصرف بلؤم من اجل ابني المستهتر"

هزت الام راسها وقالت لزوجها:

"سنفعل مايتوجب لانقاذ ازهر يا شيخ"

تابع الاب والام سيرهما حيث اوقف الاب تاكسي واوصل الام اولا الى المنزل وذهب هو الى المستشفى. كان والد جمال يجلس على الكرسي على نفس الشاكلة منذ حضوره يترقب لحظة استيقاظ ولده . اقترب منه والد ازهر ووضع يده على كتفيه فنهض واحتضن والد ازهر وقال له بدون ان يخطرعلى باله انه حضر لاجل اجنده خاصة:

"شكرا لحضورك "

قال له والد ازهر بمرارة:

"حمدا لله على سلامة جمال. كيف حاله الان"

اخبره والد جمال بما يعرفه ثم جلسا سويا ينتظران استيقاظ جمال. كان صعبا على والد ازهر ان يبتدأ الحديث الذي قدم ليقوله فقد كان والدا جمال في اعياء وحزن ولكنه كان يجب ان يخبرهما بان ابنه المسئول قبل ان تخبرهما الشرطة ويجب ان يصل الى اتفاق ينقذ ولده به من السجن. قال هامسا لوالد جمال كي لا تسمعهما الام:

"انت تعلم من فعل هذا بجمال؟"

قال له الرجل الاشيب:

"كلا ولكن ايا يكن فان الشرطة ستحضره وسينال العقاب الذي يستحقه على مافعله بابني المسكين"

ثم انهمرت دموعه مما صعب الموضوع على والد ازهر ولكنه استجمع قوته وقال له:

"لقد كان ازهر ابني يا شيخ"

تفاجأ والد جمال بما قاله له صديقه وجحظت عيناه وهو ينظر الى الرجل الجالس امامه وفي عينيه المغرورقه بالدموع الف سؤال . اخيرا نطق والد جمال قائلا:

"لماذا ؟ لماذا؟"

ثم غطى وجهه بين راحتيه وانهمك في بكاء حار فقد تقطع قلبه تماما كما تقطع قلبه عندما علم بحادثة ابنه فهو يعتبر ازهر كابنه بالضبط رغم انه لا يرضى على تصرفاته وطريقة تربية عائلته له. ماذا سيفعل الان هل يكرهه ام

يسامحه. لم ينطق بكلمة وساد الصمت بينهما. تجرا والد ازهر وقال لوالد جمال بكل عزم:

"هون عليك يا شيخ، لقد كانت رصاصة طائشة لم يكن يقصدها. دعنا نسوي هذا الموضوع خارج نطاق الشرطة. ارجوك فابني لايزال صغيرا ونحن جيران منذ زمن طويل. دعنا نتفق على امر ما كعائلة"

نظر اليه والد جمال وقد تبعثرت الكلمات امامه فلم يستطع جمعها. احس بغصة في قلبه ولم يجب بل اشاح بوجهه الى الناحية الاخرى وهو متعب من كل ما يحصل. لقد اعتقد ان جاره وصديقه اتى كي يواسيه ويعينه على مصاب ولده بينما اتضح انه اتى كي ينقذ ابنه ثم بقيت كلمة طائشة ترن في اذنه وهز راسه وهو في غمرة الحزن معلقا على ماقاله الرجل:

"لقد كاد ابني يموت وقد يموت فنحن لا نعلم وهو لم يستيقظ بعد وانت تقول لي هون عليك؟"

ثم انتبه الرجلين على صوت الممرضة تنادي عائلة جمال:

"لقد استفاق ولكنه متعب لذا ان اردتم رؤيته يجب ان تحذروا كثيرا"

نظر والد جمال نظرة اخيرة على والد ازهر الذي لم ينتظر حتى ينقلوا الفتي الى المنزل كي يرمي بقلبهم رصاصة اخرى ثم غادر لرؤية ولده . كان الرجل المسن يمسك بيد زوجته المسنة وهما يمشيا محدودبي الظهر على درب الحزن والشوق يعتريهما. بدا لهما ان جمال قد غاب دهرا وليس سويعات قليلة. كانت حالة الام مزرية حيث الدموع انتهت وتضاعف حجم عينيها الحمراوين وقد اغمي عليها عدة مرات عندما كانت تنتظر الدخول لولدها ولم تقو على المشي لذا استندت على زوجها كما تفعل دائما عندما تحتاج الى سند. وصل الوالدان الى ابنهما الذي كان لا يٌرى من كثرة الاجهزة والانابيب الطبية التي علقت به شهقت الام وسقطت على الارض فلم تعد ساقها قادرة على حملها بينما كان جمال بالكاد يرى حوله وقد ازعجه كثيرا رؤية والدته بهذا الشكل فتسارعت نبضات قلبه وصرخت الممرضة في جهاز النداء:

"احتاج طبيبا هنا"

بينما كانوا يخرجون عائلته من الغرفة كان صوت جهاز دقات القلب قد اعلن ان قلب جمال قد توقف.

الفصل الثاني

كان نهارا مشرقا في الجامعه حيث انتهت الامتحانات النهائية للمرحلة النهائية وتمكنت ريم اخيرا من حزم حقائبها كي تعود الى المنزل بلا رجعة لهذا المكان الذي كرهته واحبته في نفس الوقت. ولكن قبل عودتها الى المنزل كان عليها ان تفعل امرا اخيرا وهو رؤية سلام كي تتفق معه على يوم حضور عائلته ليخطبوها من عائلتها. كانت تقف تحت شجرة كبيرة تنظر الى ساعتها ولم تلاحظ ان من تنتظره ينظر اليها من بعيد وهو يلوح لها بيديه كي تراه. اخيرا رفعت راسها لترى سلام رفرف قلب ريم فرحا واعتلت ابتسامة عريضة وجهها المدور ثم اشارت الى الساعة وهي تتظاهر بانها غاضبة لانه تاخر عليها. اقترب سلام وحياها ثم قال لها وهو ينظر الى حقائبها:

"لقد احضرت حقائبك معك انت مثابرة حقا"

اجابته كما تعودت ان تجيبه بكل ثقة ولطافة:

"ماذا افعل فانا لا اريد ان اتاخر على الباص لانهم سيتركونني كما فعلوا معي المرة السابقة وانا لا اريد ان اتاخر لان هذا معناه تاجير سيارة خاصة بي وانا لا املك المال"

ثم نظرت اليه نظرة ذات معنى فهمه هو فاجابها من تحت اسنانه:

"اسف حقا لقد كنت اريد اعادة النقود لك ولكن مالفائدة الان واننا سنصبح زوجين . والان اخبريني متى يجب ان تحضر عائلتي؟"

اجابته وهي تفكر :

"الاسبوع القادم سيكون جيدا حيث سيكون بمقدوري الحديث مع والدتي التي ستتحدث مع والدي واخي الغبي"

مط شفتيه ثم قال لها بغضب:

"اتمنى ان لا يقوم ازهر بالاعتراض فانا اعرفه جيدا"

سلام بالطبع يعرف ازهر فهو احد الجيران الذين تعرفهم العائلة منذ زمن طويل وقد تربى سلام في نفس الشارع الذي تربى فيه جمال وازهر والعوائل

تعرف بعضها. حب سلام وريم بدا عندما دخلت الجامعه حيث التقيا صدفة في احد الحفلات الخاصة بالطلبة الجدد وهناك نمت بينهما بعض المشاعر التي لم تحددها ريم جيدا بينما كان سلام يقنعها بانه يحبها وانه مستعد لفعل اي شي لاجلها. كان ياخذ منها مبالغ ماليه كون عائلته ميسورة الحال عكس عائلته . لم تصدر من سلام اي افعال سيئة معها بل كان يجتهد في اظهار حسن النية وها هو سيحضر مع عائلته ليخطبها كما يعدها منذ اول يوم التقيا فيه قبل ٤ سنوات. كانت تصرفات سلام تزعج صديقات ريم القريبات منها وبالذات اعز صديقاتها سوسن التي كانت تنصحها بالابتعاد عن سلام لانه غير مستقر وليس لديه كلمة كما تسمع من كثير من الطلبة . وايضا كان موضوع الاموال التي ياخذها بدون ارجاعها منها يزعج سوسن كثيرا اضافة الى ان سوسن راته في بداية هذه السنة يكلم طالبة من الصف الاول وقد امسك يدها ولم تمانع هي ولكن رده كان عندما واجهته ريم بهذا الموقف انه يساعد الفتاة في بعض الدروس وان ما راته سوسن كان محض خيال صرف و قلب ريم على سوسن مما اضعف العلاقة بينهما كثيرا.

انتهى الحديث بين سلام وريم وجرجرت حقائبها خلفها بدون اي مساعدة

من سلام الذي ودعها وغاب عن ناظريها. ركبت السيارة عائدة الى المنزل

وهي لا تعلم ما ينتظرها فيه.

وصلت ريم الى المنزل بعد طريق طويل ومتعب لتجد ان والدتها ووالدها

غير موجودين وان المنزل في حالة من الفوضى سالت اختها وهي تدخل الى

غرفتها:

"ماذا حصل ؟"

اجابتها الاخت المضطربة:

"لقد اطلق أخوك الرصاص على جمال ابن جارنا"

شهقت ريم من المفاجأة وصاحت:

"ولكن هل جمال بخير؟ واين ازهر وابي وامي؟"

تمتمت الفتاة بجزع:

"لقد جاءت الشرطة واقتادته الى قسم البوليس وابي وامي خرجا خلفه وقد عادت امي ثم خرجت مرة اخرى بينما لم يعد ابي الى الان قالت امي انه سيذهب الى المستشفى ليرى الشاب ويستعطف والده كي لا يوصل الامر الى البوليس ونحلها باعطائهم مالا بدلا عن سجن ازهر"

تأففت ريم وصرحت:

"هذا ما يفعله والداي على الدوام. ازهر اولا والباقين لا اهمية لهم"

ثم عقفت حاجبيها وتمتمت بقلق:

"مسكين جمال ماحاله الان؟ "

ثم هزت راسها غير راضية عما حصل وقد احست في قلبها بغصة غريبة. لقد حزنت عندما علمت ماحل بجمال فهي وبرغم ان معرفتها بجمال فقط كجارها الطيب ولكنها تعرف اخوها وبالتاكيد هي تريده ان يعاقب على مافعله عله يتغير قليلا للافضل. اكملت ريم ترتيب ملابسها وقد وصلت والدتها الى المنزل منهكة وبالكاد تتنفس. ركضت بنتاها كي يستقبلاها

فجلست على الاريكة بينما احضرت لها ابنتها الصغرى كوب ماء بارد قامت ريم بتدليك قدمها فقد بدت متورمة من المشي. سالتها ريم قلقة:

"اين كنت يا امي؟"

اجابتها الام وهي تعطيها كوب الماء:

"حمد على سلامتك با ابنتي متى وصلتي؟"

اجابتها الابنة القلقة:

"منذ ساعة ونصف وانت يا امي اين كنت ومالذي فعله ازهر المتهور؟"

بكت الام عندما سمعت باسم ازهر وقالت:

"لقد اطلق رصاصة على جمال المسكين. يال حظ الفتى انه في المستشفى بين الحياة والموت وقد اخبرني والدك انه زار عائلته وهم في حالة صعبة جدا يبدو ان الفتى اصيب اصابة بالغة وقد يسجن ازهر الى وقت طويل جدا يا ابنتي"

كانت ريم تستمع الى والدتها بحزن كبير ثم بعد ان انتهت الوالدة من الحديث انهمكت ببكاء طويل وسط محاولات لتهدئتها كانت بدون جدوى.

رن جرس الهاتف وقد كان الاب اجابته ريم:

"ابي انه انا ريم"

قال لها بصوت خالي من اي امل:

"اعطيني والدتك يا ابنتي"

سلمت الهاتف الى الوالدة التي كانت لا تزال تبكي فقال لها زوجها :

"هل ذهبت الى المصرف؟ هل سحبت الاموال؟"

اجابته وهي حزينة جدا وتبكي بحرقة:

"لقد فعلت"

ثم اخرجت حقيبة يدها واعطتها الى ريم ثم تابعت مع زوجها:

"لقد توقفنا عن متابعة الحساب لفترة طويلة ويبدو ان ازهر قد سحب الكثير من المال من الحساب. ليس لدينا الكثير"

لم يجد زوجها مايقوله بل ودعها واغلق الهاتف وهو يشعر ان كل محاولاته لانقاذ ابنه المتهور تبدوا فاشلة وان سجنه سيكون امرا حتميا. امسك راسه بيديه وهو يفكر بما الت اليه الامور في ٢٤ ساعة فقط.حياتهم قلبت راسا على عقب ليس فقط حياتهم بل حياة الكثيرين بسبب هذه الحادثة الطائشة.

كان الاطباء في غرفة المستشفى يحاولون انعاش قلب جمال الذي توقف وبعد محاولات حثيثة عاد له النبض من جديد ولكن ضعيفا باهتا . قرر الاطباء عدم ادخال اي زائر لرؤيته حتى يستقر وضعه المتعب وطلبوا من والديه ان يعودا الى المنزل لان لا فائدة من بقائهم في المستشفى فالطبيب لن يسمح لهم برؤيته لفترة طويلة جدا. انقبض قلب الوالدة ولم تنفع توسلاتها ولا دموعها لرؤية ولدها المسجى على سرير المستشفى بين الحياة والموت لادخالها. عاد الزوجان الى المنزل المظلم ويحوم حولهما طائر الحزن والكابة وقد بنى عشه في منزلهما . لم يتبادلا الكثير من الكلام ولم ياكلا اي طعام

وذهبت الوالدة لتستريح في الغرفة بينما جلس الاب في غرفة المعيشة وهو مهموم القلب . همه ليس فقط ولده الذي منع من رؤيته بل ايضا الاموال التي يجب ان يدفعها الى المستشفى فهي تتراكم وهو لا يملك الكثير. فكر بالحديث مع ابنته التي تسكن خارج البلد فقد تتمكن من مساعدتهم ماديا ثم ابعد الفكرة عن باله فهو لن يخبرها بحاجته الى الاموال. وكانت زوجته تقرا افكاره فقد عاشا وقتا طويلا سويا وتقاربهما الشديد جعل من تفكير احدهما مكشوف للاخر . جاءت زوجته وهي تمسك بيديها كيس من القماش ووضعته في يده. نظر اليها وسالها :

"ما هذا يا حاجة؟"

اجابته بصوت حزين مكبوت:

"افتحه ولا تعترض ارجوك يا حاج "

عندما فتحه وجد ان زوجته جمعت القطع الذهبية التي تملكها ولم تكن كثيرة كي يبيعها . قال لها مستنكرا مافعلت:

"لن نمس هذا انه ملكك ولن نبيعه"

ابتسمت ابتسامة متعبة رغم حزنها وتمتمت :

"لا تعترض ارجوك"

ثم تركته وذهبت لتنام فقد انهكها التعب. كان الحاج يعلم ان ذهبها لن يحل المشكلة فالمبلغ الذي ستطلبه المستشفى كبير جدا لن تغطيه الاموال التي سيحصل عليها من هذا الذهب لذا اعاده الى مكانه وبدا يفكر ببيع قطعة ارض يمتلكها مشاركة مع اخيه في مكان بعيد . قد تغطي ما ستطلبه المستشفى رغم انه سيضطر لبيعها بثمن بخس كي يسرع عملية البيع.

امسك هاتفه ثم طلب رقم اخيه الذي يسكن في محافظة اخرى واخبره بشكل مقتضب عما حصل فثار الاخ خوفا على ابن اخيه واخبره انه سيسافر كي يساعده ووافق على بيع قطعة الارض فورا. اخرج والد جمال اوراق ملكية الارض وهو ينظر اليها حزينا فقد كان يتمنى ان يبيع هذه الارض كي يزوج ابنه ولكن حكم القدر بيعها الان. اخرج هاتفه مرة اخرى وكلم الرجل المسئول عن بيع العقارات وباقتضاب اخبره ان يريد بيع الارض التي يملكها وطلب منه موعدا كي يناقشوا الموضوع. فاخبره ان بامكانه الحضور الان لذا

خرج بدون اعلام زوجته بخروجه. لم يكن لقائه "بالدلال " طويلا حيث اخبره الدلال انه ان ارد بيع الارض بسرعة عليه ان ينقص من سعرها كثيرا وقد وافق والد جمال على بيعها بالمبلغ الذي اخبره عنه الرجل ثم عاد الى المنزل وقد كانت زوجته غاضبة ومنهمكة في نوبة بكاء.

قال والد جمال لزوجته:

"ماذا حصل ؟ هل جمال بخير"

اجابته وهي لاتزال تبكي:

"لقد كلمتني عائلة ازهر. يريدون الحضور لمقابلتنا ؟ لقد كان المتصل الاب وعندما علم انك لست في المنزل اعطاني الوالدة. لقد توسلتني ان اقبل بالزيارة. لقد قالت من قلب ام لقلب ام قد اذاني توسلها بي في هذا العمر ولم استطع ردها"

لم يجبها زوجها بل اضطر الى السكوت لانه يعلم بالضبط ما يريدونه كما كانت هي تعلم في قرارة نفسها انهم سيتوسلون بهم كي يسقطوا التهم ويحلوا المسالة سلميا. قال لها زوجها بعد لحظات صمت كي يغير الموضوع:

"لقد احضرت بعض الطعام هيا لناكل فنحن لا نريد ان يخرج ولدنا من المستشفى ليفجع بنا. ثم امسكها من يدها وجلسا ليأكلا. بعدها اخبرها بمسالة قطعة الارض التي سيبيعها وطلب منها ان تحتفظ بالذهب الذي اعطته اياه. كان هناك شئ واحد يجب عليه اخبارها اياه قبل ان تعرفه من غيره وهو مسالة شلل ابنها. لقد كانت تظن ان ابنها سيكون معافى بالكامل بعد خروجه من المستشفى واخبارها بالامر سيشكل صدمة كبيرة لها.

بعد ان انهيا تناول الطعام الذي بالكاد تذوقاه قالت له تنبهه وقد استعادت شيئا من قوتها:

"سيحضرون اليوم في السابعة"

قال لها وهو يطمئنها:

"لا تقلقي ساحل المسالة"

لم يكن على استعداد لرؤيتهم وقد احس بكمية الانانية التي في قلوبهم فها هم يريدون انقاذ ابنهم المذنب ولم يفكروا بهذه العائلة التي كادت تفقد ابنها. لم يعطوهم مجالا حتى ليستريحوا او ليتداركوا انفسهم من الم وقع

الخبر عليهم بل انهالوا عليهم بالطلبات. امسك سماعة الهاتف وطلب منزلهم. اجابته على الطرف الاخر ريم:

"اريد الحديث مع والدك"

نادت ريم على والدها الذي حضر بسرعة كبيرة. قال والد ازهر متلهف:

"كيف حالك يا حاج وكيف حال ولدك"

اجاب والد جمال بدون اي مقدمات لانه كان يريد انهاء الامر سريعا:

"الموعد الذي اعطتكم اياه زوجتي اليوم ملغي . نحن لسنا على استعداد لمقابلة اي شخص من طرفكم في هذه الفترة. ارجو منكم تفهم الامر"

لم يدع لوالد ازهر المجال ليتكلم بل ودعه بسرعة واغلق سماعة الهاتف تاركا الرجل في حالة من الذهول وخيبة الامل فقد كان قد اعد العدة كي يعطي المبلغ الذي سيطلبونه لهم من اجل علاج جمال وقد خاب ظنه عندما الغي الموعد. نادى الرجلين على زوجتيهما ليقولا لهما ان الموعد لغي فتنفست والدة جمال الصعداء بينما ثقل قلب والدة ازهر بالهم من جديد وقد كان لديها امل انها ستتمكن من الضغط على والدة جمال باعتبارها سيدة رقيقة

القلب وحنونة وكان من السهل على والدة ازهر ان تتلاعب بمشاعرها كي تقنع زوجها ان يحل الامر فيما بينهم بدون تدخل الشرطة.

مر شهر على حادثة جمال وقد علمت اخته بالامر وهرعت مسرعة عائدة الى الوطن كي تساعد عائلتها بالامر . كان والدا جمال يذهبان الى المستشفى تقريبا كل يوم بعد ان اخبرهما الطبيب ان حالة ولدهما افضل وان بامكانهما الزيارة. كان جمال شاب قوي البنية لذا تمكن من التعافي بسرعة ولكنه لم يعلم ان موضوع عدم قدرته على التحرك قد يكون ابديا حيث طلب والده من الطبيب عدم اخباره بالامر كي لا يؤثر ذلك على التطور الايجابي لشفائه. الان حانت اللحظة التي يجب فيها ان يعرف بالامر بعد ان اصبح خروجه من المستشفى وشيكا. اتفق الطبيب والده على اخبار جمال بحضور العائلة باكملها فيكون وقع الخبر موحدا على الجميع. قال الطبيب لجمال وهو يقيس نبضه:

"انت الان تستطيع الخروج والعودة الى المنزل. ولكن هناك امر يجب ان تعرفه انت وعائلتك"

ثم نظر الطبيب في وجوه امه واخته فلاحظ اختفاء الابتسامة التي خلفها خبر خروج جمال من المستشفى ليحل محلها نظرة خائفة خلفها الخوف من المجهول. استرسل الطبيب بحذر وهو يحاول اختيار كلماته كي يكون وقعها لطيفا على العائلة:

"عدم قدرتك على تحريك ساقيك قد يكون ملازما لك طيلة حياتك"

عم الصمت ولم يتكلم احد باستثناء الوالد الذي كان يعرف بالامر:

"لا تقلقوا فهناك امل اليس كذلك ايها الطبيب؟"

اجاب الطبيب وهو يحاول ان يبعث التفاؤل والامل في نفوسهم:

"كل شي بيد الله وقد تتمكن من المشي ذات يوم ولكن الان في مستشفياتنا قد لا نجد الوسائل المناسبة لعلاجك ومساعدتك"

اغلق جمال عينيه وهو يريد ان يخفف من وقع الصدمة على نفسه. هو لن يتمكن من السير مجددا. ماذا سيفعل اذا؟ كيف سيتمكن من لعب كرة القدم واعالة عائلته. احس انه في حلم وانه سيصحو منه في اي وقت ولكن كان كل ما يمر به حقيقة لا حلم وانه كان صاحيا. تهاوت الام على الكرسي

الذي كان قريبا منها بينما امسكت بها ابنتها وهما تبكيان وفجأة سمعت صوت ابنها يقول:

"لا تبكي يا امي بل افرحي فانا على قيد الحياة . كان الامر ليكون اسوء"

قل نحيب الام عندما سمعت ولدها يقول ماقاله ولكم تشابه مع والده في ردة فعله. ثم سمعته يطلب من الطبيب ان يكون خروجه من المستشفى باسرع وقت ممكن لذا كتب له الطبيب على خروج في نفس اليوم. حزمت العائلة حقائبه . عمه الذي كان غائبا يبتاع كرسيا متحركا لابن اخيه بطلب من والد جمال احضر معه الكرسي وساعد الممرض على حمله ووضعه في الكرسي. كان شعورا متناقضا لدى جمال فجلوسه على الكرسي اطلق رصاصة الموت على كل ذرة امل في قلبه تنذره بتحسن حالته وبات الان خاويا وعلى وجهه تعبير واحد فقط وهو الحزن والتعاسة التي كان يحاول اخفاؤها عن والديه بابتسامه جوفاء لا تحمل اي معنى فقط ديكور على وجهه ليخبر الناس انه ليس منهارا ولكنه من داخله كان قد فقد الحس بالحياة فقد ضاعت كل اماله بان يصبح مدربا للفريق الوطني في العام القادم كما كان

مقررا وها هو في عمر ال٣٥ اصبح مقعدا مثيرا للشفقة لا يقوى على فعل اي شي لنفسه وبدل ان يعتني بوالديه في هذه السن الكبيرة سيتوجب عليهما العناية به. كانت افكاره السوداوية المظلمة تقوده الى الجنون ولم ير امامه سوى حائط يعلن عن طريق مسدود وسجن يبقى اسيره الى الابد.

كانت ريم قد اجلت موضوع زيارة عائلة سلام لخطبتها بسبب الظروف التي تمر بها عائلتها وهي لاتعلم ان العائلة لم توافق من الاساس على الحضور لخطبتها بسبب ما حصل فاخوها الان مسجون وعائلتها اصبحت في نظر الناس عائلة مجرم. سلام لم يبذل اي جهد لاقناعهم فهو من الاساس كان يتلاعب بها من اجل المال لا اكثر فعائلته تعيش في فقر مدقع وهي ليست من العوائل الكبيرة في الحي كعائلة ريم. لم يخبر سلام ريم باي تفاصيل بل انه كان سعيدا انها اجلت الموضوع الى ان ينتهي الظرف الذي يمر بعائلتها. كانت عائلة ريم ايضا على شفير الفقر حيث كانت اموالهم في المصرف تشح بسبب استهتار ازهر وعدم انضباطه وان الوالد لم يتابع امواله التي يحفظها

في البنك. رغم قلة اموالهم كان لديهم الكثير من العقارات لذا تمكن والد ازهر من بيع ٢ او ٣ من العقارات كي يوفر المال من اجل موضوع ابنه وقد در عليه ذلك مبلغا كبيرا جدا اعادهم الى مكانتهم.

عندما سمعت عائلة ازهر ان جمال خرج من المستشفى قرروا ان هذا افضل وقت كي يحلوا الموضوع معهم لذا تكلم والد ازهر مع والد جمال من اجل الزيارة ومرة اخرى رفض الموضوع وطلب منهم عدم القدوم ولكن والد ازهر كان قد اعد العدة لزيارتهم وحشد الكثير من الناس المحترمين كي ياتوا معه ويقنعوا العائلة بحل الامر بعيدا عن الشرطة. في صباح اليوم التالي لخروج جمال من المستشفى قام والد ازهر بزيارة عائلة جمال مع الناس الذي احضرهم معه وكانت هذه مفاجأة غير متوقعة لعائلة جمال حيث اضطر الاب الى ادخالهم. قبل والد ازهر راس والد جمال وبدا يذكره بجيرتهم والافضال التي بينهما وتدخل الناس ايضا من اجل التوسط بينهم فلم يتكلم والد جمال ولم يعلن عن قرار وبينما كان جمال لايزال نائما في سريره لم يعلم

بما يحصل خارج غرفته ولكنه استيقظ على صوت والدته واخته اللتان كانتا تصرخان في الحشد المتجمهر:

"انتم اناس بلا احساس لقد فقد ولدي قدرته على السير وفقد معها حياته ومستقبله. لن يتمكن من لعب كرة القدم ابدا بعد اليوم وقد انفقنا الكثير من المال كي يسترد عافيته وانتم لا تفكرون سوى بابن هذا الرجل! وابني ؟ الم يفكر فيه احد؟ انت يا ابو رقية الم يصلح معك سقف منزلك المتهرئ بلا مقابل وانت يا ابو زيدان الم يساعدك عندما دخلت المستشفى ولم يبق احد مع عائلتك وابنك زيدان صغير. وانت يا ابو ازهر الم..... "

ثم مدت سبابتها لتشير الى والد ازهر وهي ترتجف وتبكي وتحاول الكلام ولكن الكلمات ماتت على شفتيها المرتجفه فاخرجها زوجها من الغرفة وطلب من ابنته العناية بها وعاد الى الغرفة وطلب من الحاضرين المغادرة وسيعلمهم بقرار العائلة في صباح اليوم الغد.

غادر الحضور بعد ان تأسفوا للحال الذي وصلت اليه الام المسكينة والحال الذي وصل اليه جمال الذي لطالما عرف بطيبته ومساعدته لكل من احتاج

مساعدة بلا مقابل. كان لديه قدرة على الاعطاء بلا مقابل وقد يكون هذا سبب كره ازهر له فقد اتفقت الفتيات جميعهن على ان جمال هو الاكثر شهامة ورجولة بين شبان المنطقة المعروف بصفحته البيضاء وقامته الطويلة.

صاح جمال من غرفته على اخته التي هرعت لمساعدته فوجدته قد سقط ارضا وهو يحاول الانتقال الى كرسية المدولب ليرى ماذا يحصل.

بعد جهد كبير استطاعت اخته هند من مساعدته في الجلوس على الكرسي حسب رغبته ثم قادته الى الخارج حيث نظرت الى السلم وقد بدا عليها الضيق فهي لم يكن باستطاعتها ان تحمله لوحدها كي ينزل السلم. قالت له وهي خجلة منه:

"انا اسفة ياجمال ولكنك ثقيل ولا يمكنني حملك للاسفل"

قال لها وهو يحاول ان يرمي نفسه على الارض كي ينزل السلم بنفسه زحفا:

"لا داعي للاعتذار فانا بامكاني مساعدة نفسي"

كان يحس بجرح كبير في كرامته فهو الذي تعود ان يركض أميالا الان لا يمكنة نزول السلم. لقد اعتقد ان خطته ستنجح ولكنه لم يعلم كم ضعيف قد اصبح

وحالته بالتاكيد لن تسمح له بان يؤذي نفسه . حاول ان ينفذ خطته ولكن جزعا لم يقدر فعلها. ضرب الحائط بيده فجرحت وبدات تنزف. احست هند بانها قد أخطئت بعدم المحاولة وامسكت يده فسحب يده وتكور على نفسه وهو يحاول كبت غضبه فهو غير متعود على اظهار غضبه سيما لعائلته .

اغلق عينيه بقسوة كانه يريد ان يفجرها في عروقها ثم بدا تنفسه يتسارع واحست هند ان جمال سيفقد سيطرته على نفسه فصاحت لوالدها الذي حضر مسرعا كي يساعدهما. سال الاب بهدوء:

"ماذا هناك؟"

اجابته هند وهي تتكلم بحذر:

"جمال يريد ان ينزل للاسفل ولكني لا استطيع مساندته لذا..."

قاطعها جمال قائلا بهدوء وقد تمكن من السيطرة على نفسه:

"انا بخير فقط اريد منكم ان تنقلوا غرفتي للاسفل فانا لا اريد ان ابقى وحيدا هنا كالمنبوذ. انا لست مصابا بمرض خبيث انني فقط مقعد"

ثم ادار عجلة كرسيه المدولب الذي ساعدته هند على ركوبه وعاد الى غرفته بينما كانت هند والاب يتبادلان النظرات ثم ذهبت هند لمساعدة والدتها لترتيب غرفة له في الطابق الارضي بينما كان جمال ينظر من النافذة وهو حزين ان كان بامكانه السيطرة على غضبه فهو غير قادر على السيطرة على حزنه فقد خسر حياته بين ليلة وضحاها وهو لا يعرف ما يخبئ له القدر وهو يبدو غير قادر على تحمل فكرة خسارته لكل شي بلا اي ذنب. كان باستطاعته رؤية منزل ازهر اذا انحنى قليلا للامام ولم يعرف لما اراد ان يلقي نظرة على منزل الرجل الذي كان سببا بعذابه فانحنى قليلا فاستطاع رؤية باب المنزل وبعض من الحديقة الكبيرة التي يملكونها. لاحت له ايضا احدى اخوات ازهر وهي تجلس على الارجوحة وبيدها هاتف محمول تسائل اي واحدة من الفتيات قد تكون ثم ميزها انها ريم تسارعت نبضات قلبه واحس بتنفسه بدا يتسارع كانت جاليه كالملاك تتكلم بهدوء وقلق. ها هي هناك تفصلهما امتار فقط ولكن كروحين فقد كان بينهما انهار وبحار وجبال من المشاكل. شهق بحزن فهو لن يتمكن ابدا من ان يكون بقربها في حالته هذه فمن بامكانها تحمل رجل لا فائدة منه. ومن جديد بدات افكاره تاخذه الى

مكان مظلم جدا واحس بضيق تنفسه فشرب قليلا من الماء الذي كان موضوعا على الطاولة ثم احس بحاجة الى النوم فنادى على هند لتساعده ثم غط في نوم ملئ بالكوابيس المظلمة.

الفصل الثالث

بعد ان عاد والداها. احست ريم ان المساعي لحل هذا الامر قد فشلت. برغم انها غير معجبة باخيها المتهور ولكنها كانت خائفة ان يكون الامر حقيقيا ويسجن لفترة طويلة فيضيع عليه شبابه. كانت تجلس على الارجوحة الفاخرة التي وضعت بين شجيرات النارنج العبقة وهي تقلب بهاتفها بعد مكالمة سريعة مع سلام لم تحصل فيها اي تطورات بل كان نفس الكلام الذي يكرره دائما عن حبه وولهه وحاجته للمال. لم يعجبه الامر كثيرا عندما اخبرته ان استثمارات والدها لا تجر بشكل جيد وان الاموال ستكون شحيحة لفترة لان العائلة تحاول دفع المال لعائلة جمال كي يتنازلوا عن القضية ثم اخبرته ان امر زواجهما يتعرقل باستمرار ولكنها ايضا اخبرته انهما لن يستمرا يؤجلان موضوع الخطبة فهي تحبه كثيرا ولا تريد ان يؤثر طيش ازهر على حياتهما. لم يجبها سلام على ما قالت فهو يعرف جيدا ان عائلته لن تسانده وهو لا يحس بانه يريد المخاطرة لاجل ريم وخصوصا بعد نفاذ اموال العائلة.

رفعت نظرها الى الاعلى وهي تفكر فشاهدت ظلا يتطلع الى منزلهم من شباك منزل جارهم والد جمال. انتفضت واقفة! هل يوجد من يراقبهم؟ ظلت محدقة بالشباك الحديدي وهي تحس بانقباضة قلبها. هل هو جمال يا ترى يقضي وقتا بالنظر هنا وهناك. ثم بدات تتسائل اذا ماكانت الكابه هي سبب تلصصه..

سمعت هاتف المنزل وكالعادة باعتبارها الاخت الاكبر اجابت هي على الهاتف:

"من؟"

ثم نادت على والدها عندما علمت ان جارهم والد جمال يريد الحديث معه. استبشرت عائلة ازهر من هذه المكالمة فقد يكون الجار العجوز قد وافق على ما عرضوه عليه من مال. هتف والد ازهر:

"نعم هذا انا؟ تريد اللقاء؟ فقط انا حسنا لا باس ساحضر حالا"

حك والد ازهر لحيته البيضاء الكثيفة وقال لزوجته التي كانت قربه تلاحقه بالاسئلة:

"لا اعلم قد يكون خيرا لم يوضح لي اي شي هو فقط يريد اللقاء وقد قال اننا قد نحل هذا الموضوع بدون ادخال ازهر الى السجن"

ابتسمت الام متفائلة وقالت لزوجها:

"سابدل ملابسي بسرعة لاحضر معك"

استوقفها زوجها قائلا:

"كلا هو يريدني لوحدي. ساذهب الان وادعو لي كي انتهي من هذا الموضوع"

ثم خرج متجها الى منزل جاره وهو لا يعلم مالذي سيحصل وقد احتلت ذهنه الف فكرة وفكرة فهل يعقل انه سيتمكن من تخليص ابنه من السجن؟ وصل الى منزلهم وتنفس قليلا ثم طرق الباب. بهدوء ففتحت له هند الباب وهي تنظر له بحزن وادخلته الصالة وذهبت لتنهي عملها في نقل غرفة الاخ بينما حضر والدها الى ضيفه وعلى وجهه انكسار كانه مجبر على ما سيفعل ولكنه سيفعله لمصلحة الجميع. قال والد جمال وهو ينظر الى الارض:

"لدي حل سيرضي الطرفين يا حاج. فهل انت مستعد لتسمعه؟"

نظر والد ازهر الى والد جمال وهو متلهف ليسمع العرض الذي سيعرضه عليه الرجل الاشيب ولم يتركه الاخير ينتظر طويلا حيث قال بصعوبة:

" انا لا اريد مالك فحياة ابني لا تقدر بمال الدنيا باكمله"

نظر اليه والد ازهر مستفسرا وهو لا يفهم مالذي يريد الحاج قوله. استرسل والد جمال قائلا:

"انا اريدك ان اطلب يد احدى بناتك للتزوج جمال. وبالطبع انت تعلم ان عملها هنا سيكون القيام على رعايته فانا والحاجة لا نستطيع القيام بخدمته بشكل دائم واخته ستسافر الى زوجها واطفالها الاسبوع القادم لذا ان كنت تريد حرية ازهر يجب ان توافق على زواج احدى بناتك من ابني. انه شاب تتمنى اي فتاة الارتباط به ما عدا ان ابنك جعله مقعدا وحطم مستقبله"

تنفس والد ازهر بصعوبة فلم يتوقع هذا الطلب من والد جمال ولم ينبس ببنت شفة فقد كان وقع الصدمة واضحا عليه. لم يفكر كثيرا. ان كانت هذه الطريقة الوحيدة كي يخرج ابنه من السجن فلتكن اذا. نهض بصعوبة ثم مد يده ليصافح والد جمال. ثم قال له مصمما :

"سيكون الزواج الخميس القادم وابنتي لا تريد منكم اي شي لاني من سيقوم بكافة الترتيبات"

اعترض والد جمال قائلا له :

"كلا ! هذا واجب العريس وابنتك ستحصل على الزفاف الذي تستحقه وستسكن معنا هنا معززة مكرمة وستكون حياتها كحياة اي زوجة سعيدة فابني رجل شهم ونحن لن نستعبدها بل هي ستقوم بمعاونة زوجها على مشاكل الحياة التي سببها اخوها"

نظر اليه والد ازهر ولم يتكلم فقط هز راسه موافقا ثم ودعه وخرج وهو يحمل خبرا سيقع كالصاعقة على احدى بناته.كان يسير مترنحا كانه غير مصدق ما حصل. سال نفسه كيف كان بامكانه مقايضة ابنته ولكنه عاد بعد ثواني وعزا ما فعله الى محاولته انقاذ ابنه بالتاكيد لن تعارض الاخت في سبيل انقاذ الاخ هكذا كان الشيخ يمني نفسه ويقنعها. وصل الى المنزل وعندما دخل لم يتكلم مع احد بل ذهب الى غرفته مباشرة ولحقت به زوجته. سالته وعلى وجهها امارات الخوف والعصبية:

"ماذا حصل؟"

هز راسه واجابها:

"لقد خطب احدي بناتنا كي تعتني بابنه. ستكون ريم هي العروس يا ام ازهر لان سنها مناسب للزواج"

وضعت الحاجة يدها على راسها وبكت ثم قالت لزوجها:

"ستزوج ابنتنا لشاب مقعد؟ انت تحكم عليها بالاعدام! حياتها ستنتهي لحظة دخول ذلك المنزل كزوجة لجمال. كيف استطعت القبول؟"

صرخ الحاج في وجهها:

"وما عساي افعل . لو كنت ربيت ابنك تربية صالحة لما دفعت اخته ثمن اخطائه فلا تلوميني على محاولة تصحيح الامور وانقاذ عائلتنا. اذهبي لها واخبريها ان الزواج الخميس القادم وسيكون متواضعا وعلى الارحج شكلي فقط. سنفكر بحل لتخليصها منه بعد ان يخرج ازهر من السجن سنخرجه الى خارج البلاد ثم سنطلق ريم من جمال باية وسيلة"

لم تتكلم زوجته بل اكتفت بنظرة الصدمة والخضوع التي اعتلت وجهها ثم خرجت لتخبر ابنتها بالحل الذي توصل اليه والدها.

صاحت الام الى ريم واختها وجلست بينهما تستجمع قواها كي تخبرهما بالطريقة الوحيدة التي سيتم انقاذ ازهر بها. قالت الام وهي تنظر الى ريم:

"لقد وافقت عائلة جمال بحل الموضوع سلميا"

ابتهجت الاختان بهذا الخبر بينما استرسلت الام وهي تمسك يد ريم:

"لقد خطبوك لابنهم جمال وقد وافق ابوك. الزفاف الخميس القادم"

جمد وجه ريم وتحولت تعابيرها من الفرح الى الصدمة. ابتلعت ريقها وقالت وهي غير مصدقة ماقالته امها:

"ماذا؟ انا الان كبش المحرقة الذي سترمون فيه الى السجن بدل ازهر الاخرق؟ انا لن اتزوج جمال لاني لن اكون سلعة تباع وتشترى يا امي"

قامت ريم من مكانها غاضبة وسحبت يدها من يد امها فامسكت امها بقسوة وسحبتها بقوة اكبر فجلست على الكرسي بقسوة واحست ان لا يوجد

مفر مما يحصل فبكت وتوسلت والدتها ولكن الام اخبرتها ان كل شي قد تم الاتفاق عليه وان زواجها لا مفر منه وان ازهر سيخرج بعدها والجميع سيكون بخير.

بعد هذا الخبر احست ريم بانها محاصرة تماما وفكرت بالكثير من الافكار الجنونية حتى انها فكرت ان تنتحر او تهرب ولكنها تراجعت فهي لا تريد ان تكون سببا في اذلال عائلتها وخسارتهم لسمعتهم فهي ليست ازهر. غسلت وجهها المبتل بالدموع المالحة ثم دقت على رقم سلام. لم يجبها سلام ثم بعد محاولات كان الرقم قد اصبح خارج نطاق الخدمة فتعجبت مما حصل وعزت ذلك الى انه قد يكون مشغولا فارسلت رسالة تخبره باخر التطورات وجلست تنتظر لساعات ولكن وبعد انتظار طويل جاءها الرد غير متوقعا. كانت الرسالة مخيبة للامال بشكل كبير حيث قال سلام فيها:

"انا اسف فانا لست في بغداد والشبكة هنا ضعيفة جدا وانا محاط بعائلتي لذا لايمكنني الرد على الاتصالات ولا ان اتصل بالاضافة الى ان الرسالة التي ارسلتها كان جزءا من النص مفقود ولم افهم شيئا"

تنفست بجزع وحاولت ان تنام فقد تجد حلا في الصباح ولكن الصباح جاء ولم ياتي معه اي حل . لم تتناول فطورها وجلست منعزلة في غرفتها تحاول الاتصال على سلام ولكن لا فائدة لذا قررت ان تضرب عن الطعام عل عائلتها تستمع لها. لم تتناول فطورها فاحضرت لها اختها الصغيرة بعض الطعام ولكنها لم تتناوله وكذلك فعلت مع صينية الغداء والعشاء ورغم احساسها بجوع شديد ولكنها لم تاكل اي شي. لاحظت والدتها ما تفعله لذا قررت الحديث معها لمرة اخيرة علها تقنعها ان تتوقف عن كونها انانية وتضحي من اجل العائلة. هذا ماكانت تفكر فيه الام. دخلت عليها في غرفتها وقالت لها وهي تنظر الى اواني الطعام:

"ماهذا؟ هل تريدين ان تموتي؟ اتعتقدين ان ماتفعلينه سينفع وان والدك سيقول ابنتي الحبيبة افعلي ما تريدين ويترك ابنه الوحيد في السجن؟ انت غبية يا ريم ان فكرت هكذا. دعيني اخبرك امرا مهما جدا يا ابنتي. ان والدك سيفضل ازهر على الجميع حتى علي لانه ابنه. هذه هي طريقة تفكيره ولكن صدقيني هو يحبنا جميعا فقط ليس بالطريقة التي يحب ازهر. دعيني

اخبرك امرا . لقد اخبرني والدك ان الزواج شكلي وانه لن يستمر فنحن سنجد طريقة لتخليصك منه . لا تقلقي فقط افعلي ما نقوله وكل شي سيكون بخير ارجوك يا ابنتي ارجوك"

امام توسلات امها لم تجد ريم بدا سوى هز راسها لتتناثر دموعها على يديها التي كانت تشد ملابسها جزعا من المصير المجهول الذي ينتظرها في عائلة ساخطة على عائلتها وشاب ستتزوجه لتعتني به وعائلة سترميها لهم هكذا كان لا كيان لها. كانت افكارها تاخذها الى اماكن لا يعلمها سوى هي. عضت على اصابعها وهي جزعة دامعة وقد فقدت كل امالها.

كان والد جمال حائرا بالطريقة التي سيخبر بها العائلة انه خطب لابنه. في الحالات الاعتيادية تكون هذه فرحة لا تقدر بثمن والخبر يكون وقعه سعيدا لدرجة الجنون. ولكن في حالة هذه العائلة كان هذا الخبر اخر ما يودون سماعه. جمع العائلة ما عدا جمال الذي كان يقبع في غرفته الجديدة في الطابق السفلي يتامل عنكبوتا على الحائط يبني بيته بصبر. لم يتناول غدائه

ولا فطوره وقد تعلل بان راسه يؤلمه وانه عندما يريد شيئا سياكل فهو ليس طفلا.

جلست الوالدة المتعبة وابنتها هند تنظران الى الرجل العجوز وهو يتبادل معهما النظرات. قالت له ابنته بنفاذ صبر:

"ابي هل انت بخير؟"

اجاب الاب بصوت متردد فقد بدا يتساءل ان كان صحيحا مافعل او من الاجدر ان يتراجع عن قراره خطبة اخت ازهر لابنه. استحثته زوجته على الحديث لذا قال:

"لقد خطبت احدى اخوات ازهر لجمال. لا تلوموني فهذا هو الحل الوحيد"

ثم نظر الى زوجته التي كانت ترمقه بنظرة نكران لما فعله واسترسل موضحا:

"انا وانت عجوزان لا نقدر على العناية به طوال الوقت وهند ستعود الى زوجها قريبا. هذه العائلة يجب ان تدفع ثمن مافعلته وسجن ازهر لن ينفعنا باي شي"

هزت زوجته راسها وقالت له بعصبية:

"كيف استطعت فعل هذا. ان تضغط عليهم ليزوجوا ابنتهم لابننا كي تعمل خادمة له؟ هل هذا العدل بنظرك ام هكذا تدفع العائلة باكملها ثمن ما فعله ابنهم الغير مسئول؟ العائلة لن تدفع شيئا يا حاج فقط ابنتهم. انا غير راضية على هذه الزيجة ولا جمال سيرضى فهو سيفضل ان يعفو عن ازهر ويتنازل عن حقوقه على ان يربط مصير فتاة مسكينة بمصيره المجهول"

عقف الاب حاجبيه و تسائل:

"ليفعل ذلك ولكن ليخبرني انه سيرضى ان تقوم والدته المسنة باخذه الى الحمام او يرضى لوالده المسن ان يقوم بواجباته الى ابد الدهر. انت لديك الروماتيزم وانا لدي امراض لايعلم بها سوى الله. اذا متنا من سيعتني به؟ هل سيظل وحيدا في هذا العالم القاسي؟ انا اعلم ان ما فعلته ليس شرط ان يكون عادلا ولكني اعلم في نفس الوقت انه عقوبة لما فعلوه بنا. عقوبة ليس بالضرورة ان تكون عادلة لا لابني الحبيب ولا لابنتهم ولكن هذا ما اجبروني

هم على فعله عندما ضغطوا علي كي اسقط القضية عن ازهر ليخرج بلا عقوبة"

امسكت هند بوالدتها ثم قالت لها لتقنعها:

"امي! هذا الحل هو افضل الحلول. في وضع سئ يختار الانسان افضل الردئ وخصوصا ان كان مجبرا ليختار. ان كانت عائلتها وافقت فلما نشغل نحن بالنا فقد تكون الفتاة سعيدة بهذا الزواج فجمال اخي نعم الشاب وهو مشهور بين الجميع بجمال وجهه وقوته البدنية وطيبة قلبه وهي في الحقيقة محظوظة بالزواج به فهي اخت مجرم بينما اخي رجل محترم. ان كانت هذه الصفقة غير عادلة فهي غير عادلة فقط لاخي وليس لاي احد اخر فاخي هو من ضاع مستقبله وخسر صحته بلا اي ذنب"

كان لكلام هند وقعا كبيرا على امها فقد اومات براسها موافقة على ما قالت هند لذا اكمل زوجها تفاصيل الزواج وبما يجب فعله للعروس ولعائلتها.

امسكت والدة جمال الهاتف ثم طلبت والدة ازهر كي تتحدث معها عن الترتيبات وهي تحس بحرج شديد من الحديث معها ولكن كان هذا امر لابد منه. ردت والدة ازهر من الجهة الاخرى محاولة ان يكون صوتها فرحا :

"بالطبع يا حاجة بالطبع اي شي تفعلونه سيرضي ابنتي فهي فتاة سهلة المراس "

اجابت والدة جمال وفي صوتها نبرة اللوم :

"يا حاجة ابنتك عروس ومن حقها ان تختار هي ما تحب في حدود ميزانية العرس ونحن لانريد ان نظلمها. انا اعتقد ان افضل حل هو زيارتكم والحديث معك ومعها بشان التحضيرات"

صاحت والدة ازهر :

"لا داعي فلاوقت لدينا . العرس سيكون الخميس واليوم هو الاثنين. يجب ان نسرع ونحن نقترح ان يكون الزواج مقتصرا علينا نحن"

لم تجد والدة جمال القدرة على مجادلتها لذا ودعتها وقررت الخروج مع هند لشراء احتياجات العرس ولوازم العروسين بعدما طلبت من والدة العروس ان

تشتري مع ابنتها الملابس الخاصة بالعروس وانهم سيرسلون لهم المال مع هند.

كان يوما الاثنين والثلاثاء حافلين بالترتيبات ولم يكن جمال يعرف اي شي عما يحصل حتى وصل سريره الجديد. صاح جمال لاخته هند وسالها عنه فتلبكت . ثم نادت على والدها. عندما حضر الوالد طلب من هند ان تخرج من الغرفة ونظر الى ابنه وهو يحاول ان يجد طريقة مناسبة لاخباره ان زواجه بعد يومين. قال الحاج بصوت متقطع:

"لقد خطبت لك فتاة من عائلة محترمة وزواجك يوم الخميس"

عقف جمال حاجبيه ثم سال والده مستنكرا وابتسامه ساخرة على شفتيه:

"ماذا؟ اتزوج وانا لم اشفى بعد من جروح العمليات التي قمت بها. ابي من هي تلك المسكينة التي ستكون حبيستي؟"

نظر اليه الاب وبدا مرتبكا لان جمال اذكى من ان يخبره كذبه وبالفعل استنتج جمال كل شي فصرخ رافضا ما سيحصل:

"انها من عائلة ازهر اليس كذلك؟ كلا كلا انها ليست اخلاقنا نحن لا نتزوج بنات الناس كي نظلمهم بل كي نحبهم ونحترمهم . انا لن اتزوج ابدا لا من هذه الفتاة ولا من غيرها فانا لن اتزوج امراة كي تعيش حياتها في عذاب معي . اخبرني ماذا ساقدم انا لها؟"

قال الاب وهو يحاول تهدئة ابنه:

"يا بني هم وافقوا وليس لدى الفتاة اي اعتراض"

فكر جمال سريعا معقول هي وافقت ان تتزوج به ثم اغلق عينيه وامسك راسه وبدا يتنفس بصعوبة فهو يشعر انه في كابوس ويجب ان يوقفه في الحال قال وهو يحاول كبت دموعه:

"ابي ارجوك لا تكذب على نفسك فانت تعرف جيدا ان الفتاة لن تقبل ان تتزوج كي تمسي خادمة لرجل معوق وتعيش مع عائلة حانقة على اخيها. انت تعرف لما هم يفعلون هذا فانت لم تترك لهم خيارا"

قرر الاب الحديث بشكل مباشر مع جمال فقال:

"يابني انا وامك قد كبرنا ولا يسعنا العناية بك وابنهم سبب لك مشكلتك وعليهم ان يتعاملوا مع الامر وانتهى الحديث بهذا الموضوع ارجوك يا جمال لا تعاندني فالزواج سيتم لا محالة وهو الخميس غدا الاربعاء وسنذهب الى منزل خطيبتك وانت ستحضر معنا من اجل عقد القران وستراها وتتكلم معها والخميس سيكون الزفاف"

خرج الاب تاركا جمال في دوامة فوالده قد عقد العزم وانتهى الامر.

الفصل الرابع

كانت ريم تنظر الى الملابس الجديدة التي اشترتها لها والدتها والذهب اللامع الذي عليها ان تلبسه من اجل عقد القران فالشيخ سيحضر بعد ساعة وعليها ان تتهيأ وان تقول له نعم حتى وان كانت في داخلها تريد ان تقول لا. هل يعقل ان تخالف التوقعات وترفض العريس وتفضح عائلتها؟ لو كان سلام يرد على اتصالاتها لفعلت ذلك ولكن سلام اختفى وهي لا تعرف عنه شيئا ولا تستطيع السؤال عنه ايضا.

اغلقت عينيها وهي تحاول ان تتذكر شكل جمال فهي وبرغم انهما جيران ولكنها لم تعره اهتماما على الاطلاق. وهو ليس بالفتى الذي يجذب الانتباه فهو دائما ينظر الى الارض ولا يملك سمعة سيئة تجعل فتيات الحي يتكلمن بشانه.هم جيران وقد كان ياتي باستمرار الى منزلهم ليصلح هذا الشي او ذاك بما ان اخاها عديم النفع ولكن هي لم تفكر مطلقا انه قد يكون يوما ما زوجها. جاء الشيخ وعائلة العريس وبدات المراسيم بسرعة وانتهت بسرعة وفي لمح البصر اصبحت ريم زوجة لجمال.

جلست ريم في غرفة الضيوف فباركت لها والدة زوجها برحابة صدر واخبرتها انها ستكون ابنتها الثانية بينما هند كانت تتبادل واياها نظرات الكره وهي تتذكر ماحل باخيها بسبب هذه العائلة. لم تقترب هند من ريم ولم تهنئها بل ظلت تنظر بكره لافراد عائلتها طوال الامسية. خرج الجميع ثم دخل جمال ليرى خطيبته.كانت هند تسحبه بهدوء وهي تقول له همسا:

"ليست جميلة ولكنها مقبولة لاباس يا اخي تحملها"

كان جمال حزينا بسبب ما اضطره والده لفعله فالزواج من ريم كان غلطة كبيرة بالنسبة له وكان يجب ان لا يوافق على ان يضع نفسه في موقع كهذا. الان يجب عليه ان يكون ودودا معها وان يعطيها فكرة جيدة عنه فهو الاخر لا يتذكرها جيدا ويريد ان يكون انطباعها الاول عنه جيدا وان يغرس في بالها فكرة سعيدة عن حياتهما معا رغم ان هذا صعب جدا في ظل هذا الزواج الكئيب. كان موطئا راسه خجلا من رؤيتها بثوب الخطوبة وقد احمر وجهه ومع حزنة ظهر كانه غاضب او حانق عليها. اوصلته هند الى المكان الذي انزوت فيه ريم خائفة تكتم غضبها بصمت ثم خرجت بعد ان جلس هو

على كرسيه المدولب قبالتها. لم يرفع راسه بل ظل صامتا لا يعرف كيف يبدا الكلام وظلت هي الاخرى صامتة. بعد خمس دقائق قال لها وهو لايزال ينظر الى الاسفل كي لا يحرجها .

"انا اتمنى ان اكون زوجا صالحا"

قالت له بصوت عصبي خائف:

"وانا كبش الفداء اتمنى ان اكون خادمة جيدة لك"

اغلق عينيه واحس بانه سيتقيأ من شدة الحزن. دمعت عيناه وبرغم صوتها الرقيق كانت نبرة الغضب والازدراء التي احسها واضحة من كلماتها. قال لها وهو يغلق عينيه:

"انا اسف. انا اسف"

قالت له وهي تنظر اليه:

"اتعلم انني كنت ساخطب الى رجل اخر"

لم يصدق ماكان يسمع فرفع عينية من شدة الصدمة فوقعت على وجهها الملائكي الحزين فنسي ما كان يريد ان يقوله وظل باهتا امامها. كانت سمراء ذات عيون كبيرة واسعة وانف دقيق يتكلم عن شموخ صاحبته وشعرها الاسود جعله كالمجنون حبا. ظل يحدق بها ليرى كم هي جميلة واخاذة ثم استوقفته اذنها الدقيقة فهو لم يرى في حياته جمال كجمالها وتسائل بينه وبين نفسه" هل حقا انها انسانة ام حورية نزلت من السماء" . كان واضحا انشعاله في النظر اليها فقالت له:

"لقد دمرت انت وعائلتك حياتي"

اجابها وقد انتبه من حلمه الوردي على قسوة كلامها:

"لقد دمر اخوك حياتي ورغم هذا انت تتهميني باني من دمرت حياتك؟"

شعر ببعض الغضب واحس بالغبن وتذكر حياته التي ضاعت واخوها الغير مبالي بما حل به ثم قال لها:

"لقد دمر اخوك حياتك وحياتي يا ريم تذكري هذا"

ثم حرك كرسيه المدولب واتجه ناحية الباب وهو حزين يكبت دموعه التي تتوسل لتخرج كي تشفي روحه المتعبة المجروحة تاركا اياها في حال ليس افضل منه فقد كانت اضعف منه وتركت دموعها تهطل بجنون ووصل نشيجها الى قلبه فحطمه. خرج واغلق الباب خلفه ثم نظر الى عائلته التي كانت تنتظره وتمتم بصعوبة:

"لنذهب الى المنزل"

خمن الجميع ما حصل بينهما وكان واضحا ان الرياح لم تجر بما تشتهي السفن.

عاد جمال الى المنزل منهزما وحزينا. كان حزنه اشد من لحظة معرفته انه لن يستطيع السير مجددا. هو الذي عاش طيلة الفترة الماضية من حياته على اسس ومبادئ ولطالما كان يحلم بزواج مبني على اساس الحب والاحترام ولكنه سيتزوج من امراة تكرهه وتعتقد انه وحش امراة يحبها منذ وقت طويل ولكن الظروف اجبرته ان يرى دموعها واساها. لقد اخبرته انها كانت

ستخطب لشخص وافقت عليه وقد اذاه ذلك كثيرا فحقيقة ان زوجته تقول له انها تفكر في غيره كارثة.

لم يستطع منع دموعه فقد احس ان راسه سينفجر لذا فقد اعطى لدموعه الحرية كي تشق طريقها اينما تشاء. هل ستكون حياته حزينة بهذا الشكل الى الابد؟ ثم نظر الى وعاء كبير للفاكهة كان فيه سكين وفكر جديا بقتل نفسه فاذا فعل سيتخلص من حزنه وستتخلص ريم منه وتتزوج من الشاب الذي تريده ولن يتوجب عليها ان تضحي من اجل احد. هز راسه وهمهم :

"يا ليت تلك الرصاصة قتلتني فعلى الاقل لن اجبر على عيش هذا اليوم"

سمع طرقات خفيفة على الباب وقد كانت هند تريد مساعدته على الخلود الى النوم فهو ليس باستطاعته ان يرفع نفسه الى الفراش. مسح دموعه بسرعة وطلب منها الدخول. كان واضحا انه كان يبكي ولكن هند لم تتدخل لانها تعرف ان اخيها سيتأذى اكثر اذا ما بدأت تستفسر عن سبب الدموع بالإضافة الى انها لا حاجة بها الى السؤال فهي تعرف جيدا ان ريم قالت له شيئا اذاه. لم تنظر الى وجهه بل اسرعت بمساعدته لينام ثم خرجت بعد ان تمنت له

ليلة سعيدة وقبلته على جبينه واحتضنته بحنان ثم خرجت تاركة اياه غارقا في محيط افكاره العميق . الافكار الجنونية لم تتوقف حتى ساعة متاخرة جدا من الليل حيث استطاع النوم ليصحوا على ضجيج العائلة وهم يرتبون امور العرس الصغير الذي سيقومون به. دعت الوالدة القليل من افراد العائلة المقربين الى الزفاف كما دعت عائلة ريم ايضا القليل من المقربين. بعد ساعة من استفاقته حضر والد ريم واختلى بوالد جمال وبقيا في الغرفة نصف ساعة حيث سمعت العائلة صوت والد جمال يعلو وينخفض ثم فتح الباب ودعا ابنه ليحضر. حضر جمال وهو مرتبك فهل انتحرت ريم؟ افكاره اخذته الى مكان بعيد فالموضوع ان والد ريم يريد ان يحرر ابنه قبل الزفاف معللا ان الاخ يريد ان يحضر زفاف اخته . كان واضحا ان عائلة ازهر تستغل طيبة هذه العائلة بشكل كبير ولم يخف ذلك على جمال الفطن ولكنه رغم ذلك قال للرجل العجوز وهو يكبت حزنه وغضبه:

"لا باس يا عمي سنحرره اليوم سنذهب انا وابي وانت معنا وسنتنازل عن القضية وقد اخبرتني انك تملك معارف بامكانهم تسريع الامر لذا لا داعي ليمضي يوما اخر في الحبس"

كان يتمنى لو ان ريم تلين بعد هذا الموقف وترى فيه زوجا صالحا وتفهم ان قلبه الكبير بامكانه ان يسامح ازهر ولكن وقع الخبر على ريم لم يغير ما في قلبها تجاه جمال وتجاه هذا الزواج وكان الحزن والغضب يأكلان قلبها ويزيدان من حنقها على جمال. طيلة فترة بقائها في صالون الحلاقة لم تكف عن مكالمة سلام الذي كان يستمع الى بريدها الصوتي غير مبالي.

ذهب جمال مع والده ووالد عروسه الى مركز الشرطة كي يحرر الرجل الذي اصابه في لحظة طيش وضيع مستقبله وهو يبتسم فتحرير ازهر دليل على مسامحته على مافعله وليس على نسيان حزنه على ماحصل. بقلب مثقل بالجروح وقع وثيقة التنازل وعاد الى المنزل وهو يتوقع رؤية ازهر في زفافه.

ابتدا الزفاف ولم يكن فيه الكثير من التفاصيل حيث ارادت العائلتان ان تنهيا الامر سريعا فهذا الزواج ليس كباقي الاعراس لذا كان من الافضل اختصاره .

اجتمع المدعوين في جلسة افضل ما يقال عنها غريبة فقد كانوا يتبادلون نظرات الاتهام والكره وهم يعلمون جيدا وان لم يخبرهم احد ان هذا الزواج هو تصفية حساب ليس اكثر لذا حمل احدهم للاخر كرها وحقدا ورغم ذلك لم تحصل اي مشاكل واقتصر الامر على النظرات النارية بين المدعوين. جلس جمال وهو يرتدي بدلة سوداء قديمة كان يملكها وقد صفف شعره بشكل بسيط ورسم على وجهه ابتسامة فقط هو كان يعلم انها مزيفة. كان يستقبل التهاني من الحاضرين وهو يرى في اعينهم نظرات التعاطف معه وبالذات الشابات اللاتي كن ينظرن له باسف وحزن وكثير منهن تتمنى ان تكون هي العروس فقد كان يشع نورا وطيبة وهو يبتسم طوال الوقت ويتبادل التحايا مع المدعوين. بعد ساعة جاءت العروس في ابهى حلة. كانت جميلة جدا واكثر ما ميزها طولها اللافت وحزنها الكبير وكانها تزف الى وحش البراري.

جلست في مكانها المخصص لها بجانب زوجها وهما لاينظران الى بعضهما ولم يتبادلان التحايا فقد كان جمال خائف من الحديث معها كي لا تحصل كارثة. كانت هي تنظر الى يدها وتحكم اغلاق قبضتها بعصبية شديدة ولم تعر اي

من المدعوين الذين كانوا يحيونهما اي انتباه حتى تبادر الى اذنها صوت تعرفه جيدا كان يهنأ جمال . لقد كان صوت سلام.

رفعت راسها وهي غير مصدقة وكانت هنالك ابتسامة تعلو فمها الدقيق لرؤيتها من تحب مما اثار انتباه جمال وعلى الفور علم ان زوجته تعرف سلام. كان سلام غير مبالي على الاطلاق برؤية ريم وهي تتزوج فهو يعلم مسبقا انها ستتزوج من جمال وقد حضر العرس لانه جار للعائلتين. تجاهل سلام نظراتها الشغوفة وعاد الى مقعده بينما كان جمال يحلل الموقف الذي حصل وقد اتى الى استنتاج جعل الدم يغلي في عروقه. همس لها بصوت غير مسموع سوى لهما وهو يعرف جيدا سلام زير النساء:

"هذا هوالشخص الذي حدثتني عنه؟"

شعرت بالارتباك ولم تعرف ماذا ترد لذا قال لها بصوت حزين:

"حبيه كما تريدي فقط لا تدعي احدا يرى كم انا مغفل تكفيني نظرات الشفقة التي تقتلني"

ثم عم الصمت بينهما حتى حضر ازهر قبيل نهاية الحفل يرتدي بزة جديدة صممت خصيصا له وهو يمسك ببندقية ثم وقف بجانب جمال وحياه بتكبر ونظرة النصر على وجهه ثم هنا اخته على الزواج واستعد ليطلق العيارات النارية فاستوقفه جمال غاضبا وقال له بعد ان اخذ السلاح من بين يديه:

"الاطلاقات النارية مكانها الحرب وليس الحفلات وبالتاكيد ليس هذا الحفل لذا انا انصحك ان تجلس مع المدعوين وان لا تدعي سعادتك بزواجي او تخرج من هنا"

نظر له ازهر شزرا ثم جلس بين المدعوين بعد ان اخذ سلاحه غاضبا وهو ينظر بحقد لجمال . لم يتبادل جمال وريم اي كلام حتى نهاية الزفاف وذهبا الى غرفتهما حيث اوصلتهما العائلتين الى هناك وغادرت. جلست هي على كرسي كان موضوع بجانب السرير بينما سحب هو نفسه الى جانب النافذة وهو يفتح رباطه ويتنفس بصعوبة. قالت له بعد ان استجمعت قواها:

"نعم كان هو. وانت فرقتنا عن بعضنا بكل انانية"

ثم جلست تبكي وتنحب . لم يجبها بل كان متعبا وغير مرتاح وقد استمر بكائها لربع ساعة قامت بعدها الى الحمام الموجود في الغرفة بدلت ملابسها ثم استلقت على السرير وغطت في نوم عميق. نظر اليها جمال وهي تنام دامعة كطفل صغير منعه والديه من لعبته المفضلة واحس بنغصة في قلبه الذي احبها. انتبه الى انها لم تساعده كي يترجل عن كرسيه المدولب . لم يستدعي احدا من عائلته كي لا يحرج نفسه او يحرجها لذا كان عليه ان يفعلها بنفسه وهو يعلم ان الامر صعب جدا لذا بعد محاولات فشل وقرر النوم في الكرسي وبملابس العرس.

استيقظت ريم صباحا مبكرا جدا ونظرت حولها وهي تفكر مالذي جاء بها الى هنا ثم تذكرت انها تزوجت وهذا هو بيت زوجها. فزعت وعادت لها الكأبة واستدارت لترى جمال يكاد يسقط من كرسيه وقد نام عليه طوال الليل. احست بالشفقة عليه وكرهت رؤيته بهذا الشكل فنهضت وامسكت بكتفه وبكل نعومة نادت على اسمه:

"جمال؟ "

فتح عينيه ليرى وجهها الملائكي بعينين منفوختين من كثرة البكاء يحدق فيه.

سالته بصوتها الناعس:

"هل تريد ان انقلك الى السرير؟"

اجابها بصوت متعب:

"هل تستطيعين مساعدتي في تبديل ملابسي؟ انا لا اريد ان يراني اهلي بهذا الشكل فيزيد حزنهم علي؟"

ابتسمت واحمرت وجنتاها وهزت راسها موافقة ثم ساعدته وهي تحاول ان تزيح بوجهها عنه ولكنها بالطبع كانت مجبرة على ان ترى عضلاته المفتولة وجسمه المتناسق فسالته مستفسرة:

"هل انت رياضي؟"

قال لها وهو يلبس البلوزة:

"كنت لاعب كرة قدم والان انا عاطل لانني لا استطيع الركض ولا السير ولا ان افعل شيئا في حياتي. ومع هذا انا لازلت احاول ان اتدرب كي لا افقد

لياقتي على الاقل كي اتمكن من الذهاب الى السرير وحدي. في الحقيقة انا لازلت اتمرن على هذا وحتى الان انا فشلت فشلا ذريعا لا اعرف لماذا"

احست ان الرجل الذي كانت خائفة منه ليس سوى رجل لطيف وها هي تتبادل معه حديثا اثار فضولها كثيرا وهي تريد ان تتحدث معه. كانت مندهشة من هذا التغير المفاجئ بمزاجها والغربة التي كانت تحس بها في الليلة السابقة يبدو انها غير موجودة الان. وحل محل الحقد والكراهية لهذا الرجل العطف والشفقة على حاله. بعد ان انتهى جمال من تغيير ثيابه نظر الى الساعة التي كانت تشير الى السادسة صباحا فقال لريم:

"انا ساعود الى النوم لاني متعب وانا لم انم الليلة السابقة على الاطلاق هلا ساعدتني على النزول على الاريكة رجاءا"

لم تناقشه فقد احست بالراحة من اختياره لذا ساعدته ثم غطته فنام مباشرة بدون اي انتظار تاركا اياها تنظر اليه وهي تفكر بمافعله اخوها ازهر بهذا الشاب المسكين وقد تبدل رايها تماما بشانه فهو ليس استغلاليا بل هو ضحية مثلها تماما ان لم يكن اكثر منها.

رغم ان رايها تغير بشان جمال ولكنه لم يتغير بشان هذا الزواج فهي تنتظر باحر من الجمر ان ينفذ والدها الخطة التي اتفقا عليها وان يسافر ازهر الى خارج البلد كي تتطلق من جمال. لم يهمها ان تعرف كيف فوالدها لديه اساليبه الخاصة وهي تريد النتيجة فقط.

لم تخرج من الغرفة حتى سمعت طرقا على الباب في الساعة التاسعة صباحا فلم تعرف ماذا تفعل حتى استفاق جمال على صوت الطرق المتواصل وصاح بالطارق:

"من هناك ؟"

اجابته اخته هند :

"انا جئت لارى ان كنت لاتزال على قيد الحياة "

صاح بها غير راض عما قالته:

"حقا انت تطرقين الباب علينا بهذا الشكل المخيف لتتاكدي من انني لازلت على قيد الحياة؟"

قالت له من تحت اسنانها:

"لقد جاءت والدة العروس لرؤيتها وهي مصرة فماذا افعل؟"

احست ريم بالخجل ثم بدلت ملابسها وذهبت لرؤية والدتها بينما كان جمال يرمقها بنظرات الحب والحزن بدون ان تعلم. والدتها كانت تجلس في غرفة الضيوف مع والدة جمال التي تركتهما وخرجت وبعد نصف ساعة خرجت ريم من الغرفة تتبعها والدتها التي حيت الحاضرين ولم تهتم حتى برؤية جمال وتهنئته. كان واضحا ان الام قد قالت لابنتها شيئا مهما جعلها تبتسم وقد يكون خلاص ريم قريبا.

جلست ريم تتناول افطارها غير ابهة بانتظار زوجها بينما كانت هند وامها تنظران اليها متعجبتين. كان واضحا عليها انها لم تهتم لجمال ولو قليلا ولا حتى على سبيل المجاملة. همست هند لوالدتها:

"يبدو ان خطة ابي فشلت قبل ان تبدا. ها هي ريم تجلس هنا بينما زوجها في غرفته لا نعلم ان كان صاحيا او نائما او قد يكون محتاجا لاحد يساعده

على النهوض هذا ان كان نام في سريره ليلة البارحة. انظري يا امي هي حتى لم تذهب لسؤاله ان كان جائعا"

ثم ابتسمت مستهزئة وقالت:

"ونعم التربية"

نكزتها والدتها بمرفقها وهي تنظر اليها غير راضية عما تقوله ثم اقتربت من ريم وقالت لها بهدوء:

"هل جمال لايزال نائما يا ابنتي؟"

اجابتها ريم وهي تبتلع لقمتها:

"لا ادري عندما خرجت من الغرفة كان قد صحى على صوت طرقات هند قد يكون صاحيا الان"

قالت لها ام جمال:

"الا يجدر بك ان تذهبي لتتاكدي ان كان صاحيا او نائما فقد يكون محتاجا للمساعدة"

ابتسمت ريم وقالت للام:

"ان احتاج شيئا سينادي بالتاكيد "

ثم رشفت اخر رشفة من كوب الشاي وسكبت لنفسها المزيد وسط دهشة السيدتين. قالت لها هند بلهجة غاضبة:

"هل تعتقدين ان من اللائق ان تتناول العروس طعامها في اول يوم لها في منزل زوجها لوحدها؟ دعيني اخبرك امرا ايتها الزوجة عليك ان تكوني صالحة مادمت رضيت الزواج بجمال عليك ان تحترميه وان لم تحترميه فساعلمك انا الاحترام اتعلمين كيف؟ ساجلب المسدس الذي يملكه والدك والذي اخذه اخوك المعتوه منه وساضربك رصاصة كالتي ضربها اخوك لاخي وهكذا ستعرفين مايشعر به جمال. على الاقل تظاهري بانك تحترميه وان كنت في داخلك لا تعرفين الاحترام"

انتفضت ريم وهي رافضة لكل ماقالته هند ومرتبكة فقد كانت مشاعرها متضاربة وصرخت في وجهها:

"هل تزوجني اخوك كي اكون خادمته؟ هل يجب ان انتظره الى ان يصحو من نومه الهانئ كي اكل؟ انا جائعة وان كنتم مصرين على تجويعي فساذهب الى بيت عائلتي لاكل"

اقتربت الوالدة كي تخفف من حدة المعركة الجارية بين السيدتين ولكن هند استوقفتها قائلة:

"امي انت طيبة القلب وجمال مثلك تماما ولكن دعيني اوضح لهذه الكنة وهي بالطبع عروس جميلة ومحترمة ان سبب زواجها هو ليس جمالها ولا عائلتها بل هو لتكون كبش فداء لاخيها لذا ان كنت حانقة يا ريم فاذهبي لعائلتك وفشي غلك مع كل لقمة تاكليها عندهم ولا تعتقدي اننا مذنبون البتة. احترمي جمال والا ساعلمك كيف يكون الاحترام من الالف الى الياء . اتعتقدين اننا لم نلاحظ نظراتك لسلام زير النساء في حفل زفافك؟ الكل انتبه ايتها الزوجة الجميلة. الشخص الوحيد الذي لم ينتبه الى توسلاتك ونظراتك المبتذلة هو سلام نفسه اتعرفين لماذا؟ لان سلام لا يهتم بك وان كان عشمك في حب وزواج فدعيني اخبرك امرا. لقد قال لي نفس الشي وقاله نفس الشي

للكثيرات. اذهبي الان واحضري زوجك ليتناول فطوره ولا تنظري لي هكذا وانت تعلمين في قرارة نفسك ان كلامي صحيح"

كانت ريم مختنقة وعلى وشك البكاء عندما تركت طاولة الطعام وركضت الى غرفتها مسرعة وهي لا تنظر الى الخلف تفكر بكلام هند الذي وبرغم قسوته كان صائبا. دخلت الغرفة لتجد جمال صاحيا وقد سمع كل الصراخ الذي كان في الخارج. كان واضحا من محاولاته انه كان يريد النهوض عن الاريكة والجلوس على كرسيه وكان يبدو متعبا. التقت عينيها الباكية بعينيه الغاضبتين وبدون اي كلام منهما جلست ريم على حافة الفراش تبكي بينما كان هو ينظر اليها وهو يتمنى لو كان يستطيع مواساتها. قال لها بصوت مشفق رقيق:

"انا اسف يا ريم على كل كلمة سمعتها من هند صدقيني انا ساتكلم معها واطلب منها ان تعتذر منك"

ابتلعت ريقها بصعوبة وتمتمت بصوت باكي:

"كم انا سيئة الحظ "

نظر لها بحزن كبير وهو مشفق على حالها بينما كانت نائمة على السرير وهي

تنحب بصوت مرتفع مما ادى الى حضور كل من في المنزل على صوت نحيبها.

كانت ريم ممدة على السرير وهي تبكي بينما كان جمال يطلب منها ان لا

تبكي ويترجاها ان تهدا ولكنها تجاهلته تماما واستمرت ببكائها. سمع جمال

طرقات على الباب وسمع صوت والدته تسال:

"ما الخطب افتحوا الباب"

صاح جمال وهو جالس على الاريكة التي نام عليها لا يريد ان تراه عائلته

وهو مبعثر الشعر ومتعب:

"لا شئ ستكون ريم بخير"

طلبت والدته الدخول ولم يجد بدا من قول تفضلي لها فدخلت لترى ابنها في

حال مزري بينما كانت ريم تبكي عضت على شفتيها وسالت:

"ريم ما بك يا ابنتي؟"

قال لها جمال:

"لقد جاءت من عندكم تبكي"

قالت الام وهي تحاول تهدئتها:

"هل هذا النحيب كله من كلام هند؟"

قالت ريم لها بصوتها الباكي وهي تشهق:

"بالطبع فالكل سيدافع عنها فانا اخت المجرم وهي اخت الضحية"

نظرت الام الى هند وقالت لها:

"هند يا ابنتي يجب ان تعتذري لزوجة اخيك"

ابتسمت هند بتهكم وقالت لامها:

"انا لم اقل سوى الحقيقة وها هو البرهان. انظري ابنك ينام على الاريكة وبحال مزرية. اخبرني يا اخي هل انت بخير"

تنفس جمال بعمق وهو يحاول ان يحل المسالة سلميا وقال لاخته:

"هند ارجوك اعتذري لريم واتمنى منك ان لا تتدخلي بين زوجتي وبيني مرة اخرى فهذا امر لا يحق لك . انا اعلم انك اختي ولكن الان انا لدي زوجة "

تنفست زوجته الصعداء بينما نظرت له هند متعجبة ومصدومة من كلامه ثم تمتمت بصوت بالكاد يسمع:

"انا اعتذر "

غادرت هند الغاضبة الغرفة مسرعة بينما جففت ريم دموعها وقد احتضنتها والدة جمال ثم نهضت لتساعد ابنها على الجلوس على كرسية واخذته الى الحمام وبعد ذلك اخذته الى المطبخ كي يتناول طعام افطاره وقد اشرفت الساعة على الحادية عشر. كانت ريم تجلس بجانبه وهي تشرب كوب شاي بينما كان هو ياكل بصعوبة والعائلة بكملها تحدق فيهما. همست الحاجة لزوجها بصوت يائس:

"قد نكون اخطأنا عندما زوجناهما يا حاج"

قال لها زوجها وهو يمرر المسبحة من بين يديه:

"لا ادري يا حاجة فجمال لا يبدو سعيدا والفتاة تبدو عديمة الاحساس كانها تريد ان تفسخ الاتفاق الذي اتفقناه بعد ان حصلوا على مايريدون. يبدو اننا اقترفنا خطا فادحا كما قلت"

هزت الام راسها ولم تجبه وقد احست ان تعاسة ابنها زادت اكثر بزواجه من ريم. استدارت على هند التي كانت تجلس غاضبة وسالتها:

"متى ستقومين بتحضير امتعتك؟ اليست طائرتك غدا باكرا؟"

قالت لها هند بصوت لا يخلو من الحنق:

"نعم غدا وقد حضرت كل شي يا امي ولكني لا اعلم كيف ساترككم هنا واذهب فمن سيساعد جمال بما يحتاجه"

كانت هند قد رفعت نبرة صوتها متقصدة كي تسمعها ريم ولكن ريم تمعنت في تجاهلها واستمرت تشرب الشاي وتنظر الى جريدة في يديها.

عقفت هند حاجبيها واسترسلت:

"قد الغي الرحلة يا امي فانتم بحاجة الي. جمال بحاجة الي"

قال لها جمال بصوته الهادئ محاولا ان يطمئنها:

"هند لقد قمت بالكثير من اجلي والان يجب ان تعودي الى عائلتك فزوجك واطفالك بحاجتك وانا ممتن لك يا اختي الحبيبة فلولاك لكان يوجد نقص كبير في هذا البيت"

ابتسمت الام لها بينما هز والدها راسه موافقا على كلام جمال فقد قامت هند بالكثير منذ عادت جاءت الى البلد من اجل رعاية اخوها وقد ساعدتهم ليس فقط معنويا وانما ماديا ايضا .

في صباح اليوم التالي ودعت العائلة هند التي غادرت المنزل وسط بكاء والدتها وحزن والدها ولكن الاكثر تاثرا برحيلها كان جمال الذي كان يعتمد عليها في كل شي منذ الحادثة والان هو تحت رحمة ريم وهو متاكد انها لن تمد له اي يد لتساعده فهي فيها حزن ورفض له وهي مصرة على كرهه مهما كان الثمن.

الفصل الخامس

مرت ٣ اشهر منذ رحيل هند كانت في منتهى القسوة لجمال حيث كان يتظاهر للجميع ان كل شي بخير بينما كان هو يفوت مواعيد دوائه ويفوت الكثير من وجبات الطعام ويستمر بتحمل الجوع لفترات طويلة بسبب اهمال ريم المبالغ فيه له وعدم رغبته باثارة قلق والديه. هو لم يتزوج ريم لتكون خادمته وهذا ما كان يمنعه من سؤالها احضار اي شي له وكان يتظاهر لوالدته ان ريم قد فعلت ما يتوجب وانها حلت محل هند في رعايته كي لا تقلق عليه . كان حائرا بين والديه العجوزين الذين لا يقويان على رعاية ابنهما الشاب وبين زوجته الشابة التي بدات تتصرف بشكل لا يمكن احتماله وهو يحاول ان يشعرها بالامان والحب رغم جفائها المتكرر . كانت تعيّره كثيرا بكونه لا يعمل وانه ليس رجل احلامها وانها في قمة حزنها لانها تزوجت بمعوق مثله. كان يبتلع الالم مع حبات الدواء ويكظم غيظه وحزنه بدون ان يجيبها. كان واضحا في عينيه حزنه الشديد وكانه حبيس في زنزانة تحت الارض ولديه فتحة صغيرة ليتنفس منها. كان عليه ان يدخل انفه في هذه الفتحة

كي يستنشق القليل من الاوكسجين ولم يكن هذا الكم من الهواء يكفي له فيشعر بالاختناق وباحساس الموت يقترب منه ولكنه في الواقع حيا يرزق. رغم انكساره واذلاله من قبل ريم ولكنه كان قويا كفاية كي يتعلم الاعتماد على نفسه فقد ارشدته ذلته الى طريق الاعتماد على النفس وعزة نفسه ابت ان تغفو تحت كومة من طين العناد والحقد الذي تحس به ريم تجاهه.

كان جمال اغلب الاوقات وحيدا ينظر الى الافق او السقف او يراقب الاطفال يلعبون بالكرة خارجا فيزداد حزنه على حياته التي خسرها. اخيرا استطاع رفع جسده باستعمال يديه وكان قادرا على تبديل ملابسه واخذ على عاتقه تناول الطعام والشراب والدواء في موعده بعد ٣ اشهر من المعاناة.

كان والده في بعض الاحيان ياخذه الى القهوة التي يجتمع حولها الجميع وهي نفسها القهوة التي حصل لجمال حادثه بقربها. كان جمال يجتمع ببعض الاصحاب فيتكلمون ويتسامرون ولكن ذلك لم يغير جو الحزن العام الذي كان يشعر به جمال بسبب حياته التي تسير نحو الاسوء. في احد الايام قال له سهيل هامسا:

"اريد ان اتكلم معك بموضوع مهم. قد يحصل بسببه فراقنا ولكن انا لن افعل ما يفعله الاخرون واكتفي بالنظر اليك تلك النظرات الغبية. اسمع يا صديقي لقد شاهدت زوجتك مع سلام اكثر من مرة وانت تعرف سلام جيدا فهو زير نساء وانت لا تستحق ما يحصل"

انتفض جمال غاضبا ودفع صديقه بقوة وصاح فيه :

" لا تتكلم عن زوجتي بهذا الشكل. ابتعد من هنا اقسم لو كنت بغير حال لكنت قتلتك "

هز الشاب راسه وقال لجمال:

"لا الومك ولكني اتمنى ان تعرف انني اردت اخبارك كي لا تبقى غافلا"

ثم غادر الشاب جمال الذي كان يحترق غضبا وهو يحاول ان يخفي الامر عن والده الذي جاء كي يعيده الى المنزل. لم ينم جمال تلك الليلة بل كان يفكر بما قاله له صديقه عن زوجته وقد كان يدعو ان لا يكون صحيحا ولكنه في قرارة نفسه كان يعلم ان ماقاله الرجل له ممكنا فقد شاهد نظراتها لسلام في زفافهما غير مبالية باحد.

كانت ريم تزور عائلتها كل يوم في العشر ايام الاخيرة وتبقى حتى الليل ثم تخرج صباحا اليهم وهكذا. لم يكن جمال يمنعها فقد كان يشعر بتعاستها بجانبه وتاكد له فشله في امتلاك قلبها عندما كانت تتفاداه لذا كان يتظاهر بالنوم كي لا تضطر لرؤيته عندما تعود.

عادت ريم من منزل عائلتها في الساعة التاسعة مساءا وكعادته جمال تظاهر بانه ينام على اريكته فدخلت الى الغرفة بهدوء محاولة ان لا توقظه. كانت والدة جمال قد توقفت عن تعنيفها لعودتها المتاخرة بعد ان طلب منها جمال ذلك .

بدلت ملابسها وقد كان عطرها يملىء المكان فاعاد لجمال حيويته واشرق وجهه بابتسامة لم تراها حيث كان يعطيها ظهره. كان يشعر بحركاتها ويتالم لانها غير سعيدة معه ولم يعرف كيف باماكنه ان يقلب الموازين ويقنعها انه يريد سعادتها.

بينما كان يفكر سمع ريم تتكلم بالهاتف بصوت ضعيف. لم يصدق اذنه ولم يعقل ما كان يسمع:

"نعم يا حبيبي ... لقد عدت الى المنزل الان لم استطع الانتظار اكثر فوالدة جمال كانت تنتظر عودتي انت تعرفها.... لا لا استطيع الخروج مرة اخرى اسمع انا الان في السرير ولا استطيع الخروج كي لا اثير الشبهات يجب ان تنتظر الى الغد... لا تقلق ساخرج من بيت عائلتي مبكرا كالعادة والتقيك في الكافتيريا"

ثم ودعت المتصل وقبلت الهاتف واستلقت نائمة بينما كان جمال يحس بضيق في صدره بعد ما سمع المكالمة . بعد ان سمع المحادثة باذنه بدا يتسائل بخوف شديد هل يعقل انها تخونه؟ هكذا علنا! لم يسيطر على دموعه التي تسارعت في النزول كي تمنعه من الموت مختنقا بها.

استيقظ مبكرا وهو لا يعلم متى نام في الليلة الماضية وقد استنتج من تبلل مخدته انه نام متاخرا جدا. كانت ريم نائمة بوداعة فلم تتجاوز الساعة السابعة صباحا. نهض وغسل وجهه ثم جلس ينظر اليها وهي تنام ببرائة. تذكر ما سمعه في الليلة الماضية فانتفض وبينما كانت هي تستيقظ كان هو

يستشيط غضبا من افعالها ويتلبسه الحزن والغيرة. نظرت له باستغراب وهو ينظر اليها وقالت له لا مبالية:

"صباح الخير"

قال لها بصوت حانق وهو يحاول ان يسيطر على غضبه:

"متى عدت البارحة؟"

استغربت من سؤاله فهو لم يتعود سؤالها. اجابته وهي تذهب الى الحمام بيديها ملابس الخروج:

"في التاسعة"

انتظرها حتى خرجت من الحمام وهي في كامل اناقتها وسالها:

"الن تتوقفي عن الذهاب الى منزل عائلتك قليلا وتعطي هذا المنزل بعضا من وقتك فهو منزلك رغم كل شي"

امتعضت من كلامه واجابت :

"هذا ليس منزلي انما هو سجني. والان ان انتهيت ارجوك دعني اغادر"

قال لها صارخا وقد خرج غضبه عن السيطرة :

"لقد سمعتك البارحة. انت امراة عديمة الاخلاق. كيف استطعت خيانتي وامام انظار الناس . لقد طلبت منك مرارا ان تحترميني على الاقل امام الناس ولكن ها انت تدورين في الشوارع مع سلام. اتعلمين رجلا غيري لكان احرقك حيه. انت لم تبالي بسمعتي ولا بسمعة عائلتك وجعلت سمعتنا في الطين"

صرخت في وجهه:

"سمعتني؟ من تكون انت؟ انت رجل عديم الفائدة يريد مني قضاء سنوات شبابي معه اخدمه وانفذ اوامره.."

قاطعها وهو يرتجف من شدة الغضب وعدم القدرة على فعل شي :

"ان كنت لا تريدين الزواج بي لما وافقت ؟ لما ؟ لقد حاولت ان اكسب عطفك ومحبتك ولكن كلما كنت اذل نفسي لك اكثر في سبيل ان تشعري باهميتك كنت انت تزدادين لؤما وعجرفة. لقد اصبحت سيرتك على كل لسان وانا جالس على هذا الكرسي اللعين لا يسعني حمايتك من السن الناس ولا معاقبتك على جرمك"

ثم اختنق بدموعه وجلس يبكي بينما اخرجت هي حقيبة كبيرة وملئتها ملابس ثم خرجت من الغرفة فتبعها وهو يصرخ بغضب وسط نظرات التعجب من والديه :

"انت لا تستحقين مني اي مشاعر يا ريم فانت لست سوى خائنة "

استوقفها والد جمال وهو ينظر الى حقيبتها فلم تعره انتباه بينما قال له جمال وهو يبكي بجزع:

"اتركها يا والدي فهذه المراة لا تستحق البقاء هنا"

ساله ابوه عما يحصل فاخبره جمال بشكل مقتضب عما حصل فشعر الاب بغضب شديد وامسك سماعة الهاتف ورن على عائلتها فلم يجبه احد فتابع الرن عليهم ولكن بائت جميع محاولاته بالفشل . قرر الذهاب لهم كي يخبرهم بما فعلت ابنتهم فمنعه جمال الذي بدا يستعيد شيئا من عقله وطلب اليه ان لا يذهب.

حبس جمال نفسه في غرفته وهو يفكر بالموت. فلا شي تبقى له ليعيش لاجله وكان يحس بعجز تام فهو عاجز تماما عن معاقبة زوجته الخائنة او كرهها

فهو في قرارة نفسه يعلم انه حبه لها اقوى من ان يؤذيها. انه حب غير مشروط من رجل محطم لامراءة افقدتها مقاومتها لواقعها عقلها . ما عساه يفعل هل يقتلها؟ ام يكلمها كي تعود الى المنزل ويناقشان الامر بشكل متحضر؟

مر اليوم بطيئا حزينا ولم يكلم عائلة ريم عائلة جمال ولم يوضحوا شيئا ولم تعد ريم الى المنزل وظل جمال ينتظر علها تغير رأيها وتعود وقد فكر بينه وبين نفسه انها لو عادت نادمة سيسامحها فهي مسكينة مثله والمسامحة اقوى من العقاب ولكنها لم تعد وحل الصباح وهي لم تعد. كان جمال قد وصل اوج غضبه وهو يفكر بحقارة سلام وقد كان يتمنى لو يذهب له ويكسر فكه ويبرحه ضربا ولو كان في حالته السابقة لكان قتل سلام من ضربة واحدة ولكنه الان كما قالت له ريم فاشل وفي لحظة حزن نظر الى علبة الدواء التي كانت موضوعة على الرف القريب منه واقترب نحوه . فتحه وابتلع جميع الحبات التي فيه املا ان تكون كافية لقتله.

سقط جمال مغشيا عليه على كرسيه المدولب وهو بالكاد يتنفس وسقطت علبة الدواء من يديه محدثة ضجة جاء على اثرها الوالد العجوز ليرى ابنه في حالة مؤلمة. هرع اليه وهو يهزه ويصرخ :

"جمال! جمال!"

واستمر ينادي عليه ولكن جمال لم يجبه. جاءت الحاجة عندما سمعت صوت زوجها الهستيري لترى ابنها لا يتحرك. انضمت الى الاب في صراخها وعويلها وهما يحاولان ان يوقظاه ثم اجرى الاب مكالمة الى الطوارئ وشرح لهم ماراى فطلبوا منه ان يقوم بمحاولة ترجيع لابنه كي يتقيا الحبوب التي اخذها بينما تاتي سيارة الاسعاف. قلب الشيخ ابنه على وجهه ثم بدا يحاول ان يحمله على التقيا وبعد محاولات استطاع جمال اخراج الحبوب التي استهلكها وفي تلك الاثناء كان يسمع صوت سيارة الاسعاف من بعيد.

وصل المسعفون وقاموا بعملهم ثم اخذوا جمال الى المستشفى معهم مرة اخرى بينما لحق بهم والداه. لم يعرف سكان الحي ما جرى ولكنهم شاهدوا جمال ينقل على النقالة الى السيارة فهالهم منظره. بعد ساعات من العناية

في المستشفى استفاق ليرى والديه العجوزين يمسكان بيديه ويبكيان. قبل والده يديه وقال له بجزع:

"لماذا يا بني؟ تنتحر؟ هل هذا ماعلمتك اياه؟ "

دخل جمال في نوبة بكاء وهو يتنفس بصعوبة فاسترسل الاب:

"كفاك يا بني فهي لا تستحق منك كل هذا؟"

قال جمال بصوته الضعيف الباكي:

"حياتي يا والدي انتهت. فلا صحة ولا مستقبل ولا زوجة ولا حتى سمعة. مالذي بقي لي في هذه الدنيا. كان يجب ان اختار طريقة اخرى للموت"

صرخت والدته في وجهه جزعة:

"كلا يا بني. لا تقل لم يتبقى لك شئ ونحن هنا. فنحن ما تبقى لك"

ثم قبلت يده التي تمسكها ودخلت في نوبة من البكاء الحزين. قال له الوالد المنكوب:

"ستخرج في الغد وسنذهب الى سلام عديم الشرف ونلقنه درسا ونخبر والديه بما فعل فابوه لن يقبل بهذه الفضيحة ثم سنذهب الى عائلة زوجتك ونخبرهم بما فعلت ونطلقها في بيت عائلتها فلا نريد امثال هذه النساء في عائلتنا"

هز جمال راسه وقال لوالده:

"نعم ساطلقها فقلبي لن يحتمل المزيد من المعاناة. وبالنسبة للذهاب الى عائلتها وعائلة سلام فانا لن افعل لاني اعرف ان الله سينتقم منهما ومن كل من اذاني وانا فقط ساترك الامر بين يديه"

ثم اغمض عينيه وهو يتمنى لو انه يستطيع الانتقام من اولئك الذين تلاعبوا به ولكنه كان قليل الحيلة. كان يعتقد ان زوجته ستتفهم وضعه وستتجاوب مع طيبته واحترامه لها ولكن كان تفكيره خاطئا فمن تربت في عائلة كعائلتها لايمكن ان تكون مثله. كان يتمنى لو انها قالت له طلقني على ان تطعنه في ظهره كمافعلت. ثم بدا قلبه الطيب يلين فقرر النوم قبل ان يجبره قلبه على مسامحتها.

في اليوم التالي خرج جمال من المستشفى حيث طلب الطبيب من عائلته ان يبقوه في السرير ويطعموه السوائل وان يعطوه الادوية في موعدها وان ممرض سياتي لمعاينته مرتين في اليوم كي يتاكد من ان حالته استقرت وان طبيبا نفسيا سيزورهم مساءا كي يقيم حالته النفسية ويرى ان كان سيعيد محاولته للانتحار في المستقبل او لا.

الفصل السادس

كانت ريم جالسة تنظر من شباك غرفتها وهي لا تعرف مالذي حصل في منزل جمال ولماذا اخذوه الى المستشفى واحست بقلق لا تعرف سببه فهي لم تهتم يوما لجمال في الفترة التي سكنتها في منزلهم. كانت تنظر الى هاتفها الذي كان يرن وقد كان المتصل سلام ولكنها لم تشعر برغبة بالحديث معه. كانت تحس بتناقض في داخلها فهي من البداية كانت لا ترغب بقضاء الوقت مع جمال ولكن عندما تركت المنزل بشكل كامل احست بفراغ وحزن لا تعرف سببه. لم تكن تفكر كثيرا بافتضاح امرها لدى عائلتها فهي تعرف ان جمال لن يفعل فطيبته وتسامحه سيمنعاه. وقد كانت سعيدة لانها استطاعت ان تقنع عائلتها بقضاء الليلة عندهم فوافقوا على الفور بعد ان ذكرتهم بموضوع طلاقها المرتقب.

بعد ان هدا هاتفها وصلتها رسالة فتحتها وقد كانت تقول:

"لماذا لا تجيبي على الهاتف انا بحاجة الى المال. اليوم في نفس المكان"

عضت شفتيها وهي تكتب :

"لا يمكنني فقد تركت المنزل الا تذكر والان انا ليس لدي عذر للخروج ليلا"

اجابها :

"هل انت بليدة ؟ اقسم ان لم تحضري لي المال اليوم ساقتلك"

حاولت ان تخفف من حدة لهجته فكتبت له:

"حبيبي ارجوك لا استطيع فعائلتي ستعرف بالامر"

لم تستلم رسائل اخرى لذا ارتاحت وعادت لتفكر بما حصل البارحة في منزل جمال. في الخارج نادتها والدتها فهرعت لها. كانت الوالدة تجلس امام التلفاز تطالع مسلسلا وطلبت من ابنتها لتجلس وهي تبتسم ثم قالت لها:

"والان بعد ان سافر ازهر خارج البلد لقد عين والدك محامي ليطلقك من جمال. سنطلب الطلاق بحجة انه كان يؤذيك ويضربك. ولن يتوانى القاضي عن اعطائك الطلاق على الفور"

نظرت ريم لوالدتها نظرة حزينة وقالت بصوت متقطع:

"لكن يا امي هو لم يؤذيني ابدا ولا عائلته"

رفعت والدتها حاجبيها وردت عليها:

"والان هل تريدين حريتك ام لا؟ يجب ان نكذب قليلا كي تنالي حريتك. سنقوم بعمل بعض الكدمات لك كي يكون لدينا حجة قوية"

اخرجت الام انبوب طويل من خلف الاريكة التي كانت تجلس عليها واسترسلت:

"هل تريدين ان تفعليها بنفسك او افعلها انا؟"

جفلت ريم من كلام والدتها وانكمشت في مقعدها بينما قالت امها بحزم:

"سافعلها انا. كلما فعلناها اسرع كان خلاصك اسرع"

ثم انهالت عليها ضربا بينما كانت هي تصيح من شدة الالم. ولم يستمر الامر لاكثر من ثواني ولكن ريم كانت قد حصلت على علامات في كامل جسدها وهي تبكي وتتلوى على الارض من شدة الالم. بعد ان انتهت والدتها قالت لها:

"سنذهب اليوم قد يكون بعد ساعة الى المحكمة كي نحرر فايلا وستعاينك طبيبة ثم سننجز الامر. لا تقلقي هذه العلامات ستزول بسرعة وستنسين هذه الايام التعيسة"

ثم ساعدتها الام على النهوض ونقلتها الى غرفتها وبدات تطبب جروحها واعطتها مسكنا وطلبت اليها ان تبقى في الفراش بينما خرجت هي لتخبر الوالد بان الامر قد انجز. بعد ساعة عادت الام الى ابنتها التي كانت لا تزال تتلوى من شدة الالم رغم المسكن الذي اخذته فاعطتها مسكنا اخر وطلبت اليها ان تبدل ملابسها ففعلت بصعوبة ثم ذهبت العائلة الى المحكمة ورفعوا قضية طالبين فيها الطلاق.

عادت ريم الى المنزل وهي تعبة منهكة تفكر فيما فعلته. كل مافعلته بجمال وكل ما فعله هو لها، تناقض عجيب. اختنت بدموعها فكيف تحولت الى وحش لا هم له سوى اذية جمال الذي لطالما عاملها باحسان. يبدو ان ازهر ليس الوحش الوحيد في هذه العائلة. اختنقت وضاق تنفسها ثم نظرت الى

هاتفها الذي كان يرن وقد كان سلام وبقيت تنظر الى الاسم الذي ظل لفترة على شاشة هاتفها قبل ان يختفي الاسم.

كانت ريم مستلقية على فراشها عندما طرقت اختها الاصغر منها الباب. سمحت لها ريم بالدخول وقد كانت تحمل صينية الطعام التي ارسلتها الوالدة لها. جلست وفاء تنظر الى اختها وهي حزينة ثم قالت لها :

"لا افهم لماذا سمحت لامي بضربك بهذا الشكل؟ هل انت مستعدة لتموتي في سبيل الانفصال عن جمال؟ اعني هل هو سئ الى هذه الدرجة؟"

اجابتها ريم وهي ترتشف بعض العصير:

"في الحقيقة يا وفاء ماعدت اعرف مالذي يجري فحياتي انقلبت راسا على عقب واصبح كل مافيها عبارة عن لعبة يلعبها ابي واخي. في بعض الاحيان اشعر انني لست افضل منهما"

نظرت اليها وفاء ذات ال١٥ عاما واعادت سؤالها:

"نعم ولكن هل جمال سئ لدرجة انك مستعدة لقتل نفسك كي تتخلصي منه؟ لقد سمعت صديقاتي يتحدثهن عنه قبل فترة. انه وسيم جدا "

فكرت ريم قليلا قبل ان تقول لاختها:

"كلا في الحقيقة هو ليس سئ على الاطلاق. اتعلمين هو مختلف تماما عن ابي وازهر وحتى عن..."

كانت تريد ان تقول سلام ولكنها صمتت فقالت لها اختها:

"لقد سمعت من صديقتي ان جمال نقل البارحة الى المستشفى لانه اراد الانتحار ولكن عائلته تعتم على الخبر"

لم تعلق ريم على هذا الخبر بل اسكتتها الصدمة التي وقعت عليها كمطرقة قاسية اشعرتها باخطائها التي قامت بها وباذيتها الكبيرة لهذا الشاب. قالت بصوت خفيض كانها تتحضر للبكاء. بكاء الندم والخوف:

" هو ليس سيئا ابدا بل هو اكثر من ممتاز. لديه مروءة وعزة نفس وشهامة و لا يستحق الموت لا يستحقه ابدا ولا يستحق ما فعلته به انا ... كيف ..."

ثم اخذت نفسا عميقا وتمتمت:

"هو ليس النوع الذي تعودت عليه في حياتي"

وصمتت مرة اخرى لتدخل في نوبة بكاء وطلبت من اختها المغادرة فغادرت.

نظرت الى هاتفها ثم امسكت به وطلبت رقم جمال في لحظة عدم تفكير.

رن الهاتف وقبل ان يتوقف عن الرنين اجابها جمال بصوت متعب ولكن فيه شئ جعلها تشهق. يبدو انها افتقدت هذا الصوت كثيرا وبدون ان تعلم تعودت عليه .قالت بتوتر وكانها تريد ان تتاكد مما قالته اختها:

"لقد رايت سيارة الاسعاف البارحة واردت ان اطمئن"

اجابها متهكما:

"لا شئ . والان يجب ان انهي الاتصال؟"

تمتمت محاولة ان تمنعه من قطع المكالمة وهي تشعر ان قلبها يؤلمها:

"اردت ان اخبرك ان لاشئ حصل بيني وبين سلام وانا لم اخنك. كنت فقط اذهب لرؤيته والحديث معه و.."

اكمل جملتها مقاطعا:

"اعطاءه المال اليس كذلك؟ نعم لا تستغربي فالجميع يعلم ان سلام يصاحب الشابات ليسرق مالهن ثم يتركهن"

صمت للحظة ثم اخبرها :

"لقد وصلت دعوى المحكمة. شكرا على اتهامي بضربك واذيتك وتشويه سمعتي اكثر من ذي قبل. لقد اذاني ما فعلت وتمنيت لو اني ضربتك فعلا فمنعتك من ان تصبحي وحش بلا ضمير. اتمنى ان تستمتعي بحياتك مع سلام الذي سيتركك فور امتناعك عن اعطاء المال وحيدة وقد شوه سمعتك ورماك"

كان يتنفس بصعوبة وقد بدا عليه انه كان يبكي ولكنه استجمع طاقته وقال لها:

"ساراك قريبا في المحكمة ولكني تمنيت لو انك لم تذهبي الى المحكمة لتطلبي الطلاق الذي ستناليه قريبا لاني كنت لاطلقك لو طلبتيه مني وجها لوجه فانا لا اريد انسانة مثلك في حياتي"

ثم اقفل الخط وسط دهشتها وتاثرها بماقال. لقد هاجمها كما لم يفعل احد وقد كان كلامه صحيحا . احست بالندم على مافعلته فكيف استطاعت ان تكون بمنتهى القسوة والغباء. مالذي فعله هو لها كي تعامله بهذه الطريقة. وفي لحظة ندم رفعت سماعة الهاتف وطلبت رقم سلام ثم باقتضاب قالت له انها انهت كل شي بينهما وانه يجب ان لا يتصل بها مرة اخرى ثم اقفلت الخط بدون ان تعطيه فرصة ليتحدث ثم عادت لتبكي والالم يعتصر قلبها. كانت تحس برغبة مجنونة وفجائية لرؤية جمال. كانت في غمرة المها الجسدي بسبب ضرب والدتها لها تتذكر كيف كان لطيفا معها ويعاملها باحترام. كيف كان يقف الى جانبها ويمنعها من ان تفعل اي شي للمنزل كي لا تتعب وكيف انه تركها على هواها تذهب الى بيت عائلتها بدون نقاش كي ترتاح . كانت تحس انها ظلمته كثيرا وفكرت في نفسها اكثر من اللازم وان عائلتها في الحقيقة خدعت عائلته واذاقتهم الامرين. صممت على امر ستفعله عندما ستصحو في الصباح الباكر تكفيرا عن ذنوبها تجاه جمال فهو انسان لا ذنب له سوى انه طيب القلب ورحيم. مشاعرها كانت متضاربة

والمقارنة كانت تفرض نفسها عليها ورعونتها اخذتها الى مكان بعيد جدا قد لا تستطيع العودة منه بسلام.

كانت ليلة طويلة على ريم حيث كانت تريد ان ياتي الصباح بسرعة وهي تنظر الى حقيبتها التي جمعت فيها جميع اغراضها . عندما جاء الصباح نهضت وقررت اخبارعائلتها انها ستعود الى زوجها. وفجاءة وهي تفكر بكيفية لاخبارهم بالموضوع فتحت باب غرفتها ودخل والدها الغاضب وبدا يضربها ويصيح بينما كانت الام تحاول ان تهدا من روعه. كانت ريم تحت رحمته تصيح من شدة الالم وتتوسل والدها ان يتوقف عن ضربها ولكنه ابى وظل يصيح عليها وينعتها بقليلة التربية والادب.

استطاعت ريم ان تفلت من تحت قبضته وخرجت الى الشارع وهي منكوشة الشعر مدمات الوجه لايوجد مكان في جسدها الا وعليه اثار الضرب المبرح ووالدها اسرع خلفها يريد ان ينهيها. لم تجد مكانا لتذهب سوى انها طرقت باب منزل جمال كي تحتمي فيه. فتحت والدة جمال الباب فتفاجاءت بريم بشكلها البائس المريع ووالدها يصيح خلفها وهو يريد الامساك بها بينما كان

كل من في الحي يشاهد ما يحصل. ادخلتها الحاجة بسرعة واغلقت الباب وهي تنظر لها بغضب ولم تسالها على اي شي بل ادخلتها الى داخل المنزل واعطتها شيئا لتضعه على نفسها فهي كانت لاتزال ببجامة النوم.

استيقظ جمال على صوت الطرق العنيف على باب منزلهم وخرج على كرسيه كي يرى ما يحصل فشاهد ريم وهي مشوهة تبكي فنسي كل ما فعلته به واقترب منها وسالها:

"ماذا حصل"

اجابت وهي تبكي:

"ابي يريد ان يقتلني لا ادري لماذا؟"

قالت لها الام :

"قد يكون بسبب افعالك المشينة وها انت تشركينا بها الان يجب ان افتح الباب له كي يقتلك ويخلصنا منك فقد اذيتينا وعائلتك بمافيه الكفاية"

قال لها جمال وهو يحاول ان يهداها:

"امي ارجوك لا تقولي مثل هذا الكلام فلسنا نحن من يطرد من التجأ ببيتنا.

الم تعلمينا هذا"

صمتت الام بينما طلب منها جمال ان تاخذ ريم الى غرفته وطلب من والده

الذي كان يقف بدون ان ينطق بكلمة ان ياخذه الى الخارج حيث كان والد

ريم لايزال يطرق على الباب كي يفتحوها. فتح والد جمال الباب فاذا بوالد

ريم يريد الدخول فمنعه والد جمال قائلا:

"لا تدخل فهذا منزلي وانا امنعك من الدخول"

صاح والد ريم:

"سلمني ابنتي حالا"

قال جمال له بحزم:

"انها زوجتي الا تذكر"

عض الرجل العجوز على شفتيه غضبا وقال لجمال:

"ليس لوقت طويل"

اجابه جمال:

"سنرى بشان ذلك والان ارجوك غادر منزلي فانت ليس مرحبا فيك هنا ودع زوجتي وشانها"

لم يجد والد ريم بدا سوى الانسحاب وهو غاضب يتوعد بينما عاد جمال الى داخل المنزل ودخل على ريم في الغرفة حيث كانت والدته تطبب جروحها بعد ان بدلت ملابسها الممزقة بملابس اخرى وجدتها في خزانتها. قال لوالدته وهو يتنفس بصعوبة:

"امي ارجوك حضري لريم شيئا تاكله وانا ساكمل ماتفعلينه"

ابتسمت الام بحنان لولدها وهي تشعر بالفخر بما فعله فهذا هو الرجل الذي ربته وهي ترى كل ما غرسته فيه من قيم ماثلا امامها اليوم.

اخذ جمال معقم الجروح وبدا يمسح بخفة على جرح ريم وهو ينظر اليها بجزع فقد كانت عينها اليمنى متورمة سوداء وانفها ينزف وشعرها منكوش متسخ وتغطيها الكدمات الزرقاء في اغلب انحاء جسمها. قال لها وهو يحاول ان يكون لطيفا:

"ماذا حصل؟"

نظرت له بدون ان تتكلم فكره رؤية الدموع في عينيها . احتضنها برقة وقال لها:

"لا تبكي فليس هناك مشكلة ليس لها حل"

بعد ساعتين رن جرس الهاتف على منزل جمال وكانت اخت ريم وفاء . سالت وفاء على حال ريم فطمأنتها والدة جمال ثم اعطت الهاتف الى ريم لتتكلم:

"انا بخير ولكن اخبريني مالذي يجري؟"

اجابت اختها بصوت حذر واطئ:

"لقد ارسل احدهم صورا لك مع سلام جارنا وانتم تتكلمون سويا. عدة صور واخبره انك على علاقة بسلام منذ فترة"

اصفر وجه ريم وبدات ترتجف فلاحظ جمال ماحصل لها. بعد ان اغلقت الهاتف مع اختها كانت تفكر بهذه المصيبة فسالها جمال عما قالته لها اختها فاجابت:

"ابي سيقتلني لا محالة. يبدو ان هذا انتقام الله مني على مافعلته بك وبعائلتك"

واغمي عليها من شدة الخوف. بعد ان رمت والدة جمال على وجهها بعض الماء استيقظت وهي ترتجف فسالتها والدة جمال:

"مذا حصل يا ابنتي؟"

قالت ريم بوجل وهي ترتجف من شدة الخوف:

"لقد عرف ابي اني كنت اخرج مع سلام وهو يعتقد انني كنت على علاقة به. اقسم انني لم اكن لقد كنت فقط يائسة ومدمرة بسبب مافعلوه بي "

ثم نظرت الى جمال وهي تتوسل:

"ارجوك يا جمال لا تدعه يقتلني ارجوك. انقذني منه"

ثم امسكت بقدم جمال تتوسله وتقبلها كي ينقذها من والدها. ارتبك جمال بشكل كبير ثم مد يده لها قائلا:

"انهضي فلن يقتلك احد. فقط اخبريني كيف علم والدك"

اخبرته بماقالته لها اختها فشعر بوخزة في قلبه. ها هي زوجته قد مسحت بسمعتها وسمعته وسمعة عائلتها الارض وتريد منه زوجها الذي من المفترض ان يكون اول من يرميها خارجا تريد منه ان ينقذها من والدها والعالم القاسي الذي حولهم ثم فكر اليس هو وعائلته احد الاسباب التي قادتها الى هذا الفعل. لو لم يجبروها على هذا الزواج ربما لكانت ... ثم تذكر كيف ان سلام يتلاعب بالفتيات ولم يكن هناك اي امل انه سيتزوج بريم وربما لكان الامر وصل الى هذا الطريق ايضا. شعر بالشفقة عليها وهو يرى فيها انكسار كبير اجتمعت على تكوينة عدة عوامل .

نظر لها وهي يائسة وتخيل كيف سينظر الناس لها. لن يفكر الناس في الاسباب التي ادت بها الى الهاوية بل في النتيجة ولن يصدقوا انها بريئة بل سينسجوا القصص الخيالية التي تغذي جلساتهم واجتماعاتهم وسيقودوها بايديهم الى احد الطريقين اما الموت او الاستمرار في طريق الخطا. ثم لمعت في باله فكرة. هتف مبشرا اياها:

"لا تقلقي انا لن ادعك تعودين الى المنزل"

اتجه الى الدولاب واخرج ملابسه ثم بدا يضعها في حقيبة صغيرة ثم قال لها:

"سنسافر لفترة حتى تهدا الامور. مارايك بالذهاب الى ماليزيا؟"

راى نظرة التفاؤل على محياها فاسترسل:

"هل بامكانك الطلب من اختك ان تحزم لك حقيبتك وتاتي بها لك؟ الليلة؟"

قالت له بوداعة:

"لقد جمعت ملابسي البارحة على امل ان اعود اليك والغي فكرة الطلاق لذا فحقيبتي جاهزة. متى يمكننا الرحيل؟"

قال لها وهو يخرج رقم شركة لحجوزات السفر:

"ساحاول الحجز باقرب موعد"

ثم اتصل على الشركة واستطاع الحجز في الغد عند المساء ثم طمأنها مرة اخرى انه سيهتم بكل شي فليس عليها ان تقلق ثم طلب منها ان تنال قسطا من الراحة بعد ان تكلم اختها لتحضر حقيبة سفرها. كلمت ريم اختها ثم

انسلت الى السرير بينما كان جمال قد امسك الشرشف كي يغطيها وطبع قبله هادئة على جبينها وقال:

"نوما هانئا"

ابتسمت له برقة فاجاب ابتسامتها ثم اطفا الضوء وخرج من الغرفة فاستقبله والداه وفي جعبتهما الكثير من الكلام.

قال له والده بغضب:

"مالذي تفعله؟ لم تؤويها في منزلنا؟"

اجابه جمال وهو يحاول تفادي نظراته:

"مالذي تعنيه يا والدي انها زوجتي؟"

صاح الاب بصوت مكتوم:

"حقا! زوجتك؟ الان بعد ان نبذها اهلها وصديقها عادت اليك ثم بعد ان تنقذها من هذه المصيبة ستتركك بحجة انك لا تنفعها"

اغلق جمال عينيه يفكر بكلام والده فقد كان منطقيا ثم اخذ نفسا عميقا متمنيا ان لا يحصل هذا السيناريو وقال :

"انها بحاجة لمساعدتنا ونحن لا نرد ملهوفا اليس هذا ما تعلمناه في هذا المنزل؟"

اجابه الاب وهو غير راض عما قاله :

"وتعاملنا مع هذه العائلة علمنا ايضا ان لا نكون اغبياء"

ابتسم له جمال بشجاعة وقال له :

"مافعله ليس غباء يا ابي بل هو رجولة ودعني اخبرك شيئا لننهي هذا النقاش. انا ساساندها الى النهاية لاني اعرف جيدا الظروف التي مرت بها وايضا اصدقها عندما قالت لي ان لاشي حصل بينها وبين سلام. اذا تركتها الان فبالتاكيد شيئا سيحصل وسيكون قد فات الاوان على انقاذها. تذكر يا ابي انك انت من وضعها في هذا المكان منذ البداية"

قطب الاب حاجبيه وتمتم:

"عائلتها من فعلت وليس انا وها هم قد هربوا ابنهم لخارج البلاد ورتبوا لطلاق ابنتهم منك وضحكوا علينا واستغلوا طيبتنا يا بني. هذا بالضبط ما احاول ان احذرك منه فهي ابنتهم وستفعل مافعلوه تماما. ستستغلك ثم تتركك"

نظر جمال لوالديه نظرة مطولة فهو الان في اختبار ثم اخبرهم:

"سنسافر غدا الى ماليزيا. حتى تهدا الامور ثم نعود. قد لا نسكن في هذا الحي مجددا ففيه الكثير من الذكريات المؤلمة "

ثم استدار وخرج من الغرفة تاركا والديه غير مصدقين انه سيرمي نفسه في النار لاجلها وسينفق امواله التي يدخرها لاجل العلاج عليها.

في صباح اليوم التالي احضرت وفاء حقيبة اختها مع رزمة من الاموال وقالت لها ان امها قد ارسلت لها هذه الاموال كي تهرب لان والدها مصمم على قتلها ان بقيت هنا ثم ودعتها باكية وخرجت بسرعة قبل ان يلاحظ والدها انها تجلب اغراضا لريم.

الفصل السابع

سافر الزوجان الى ماليزيا حيث الطبيعة الجميلة والاجواء الهادئة التي انستهما كل مايحصل في حياتهما وقربتهما اكثر من بعضهما. كانت ريم تحاول ان تعتني بجمال وتقوم بخدمته في الامور التي يحتاجها بدون ان يسألها ذلك ووجدت في مساعدته بهجة الاقتراب منه والشعور بدفئه الذي يشعرها بالامان. كان هو ايضا لا يمنعها من محاولات التدخل في حياته وبالذات عندما كانت تطلب منه ان يطلب اكلا بحريا بدل الدجاج الذي يطلبه كلما دخلا الى مطعم او طلبها منه ان لا يحلق لحيته لانها تجده جذابا باللحية . كان جمال يشعر انها تقترب منه وبان قلبها لايرفضه كما كان في البداية. لم يشعر ابدا انه كرهها رغم كل ماحصل فقد غفر لها تماما ومسح كتاب الذكريات القديم وبدا بكتابة كتاب جديد عنها وعنه. لقد توقع كل شي الا ماطلبته في احد الامسيات.

كانا جالسين في مطعم في منارة كوالالمبور الجميلة والمطلة على انحاء المدينة حيث كانت ريم تنظر الى البنايات الشاهقة التي تمتلئ بها المدينة وتعلق

على ماتراه ايجابيا وتضحك بمرح ثم فجاءة التفت الى زوجها وقالت له بدون مقدمات:

"جمال الا يمكنك ان تقوم بعملية لتسير مجددا؟"

انتبه لها واجابها بدون تفكير:

"لا ادري ؟ لقد فقدت الامل كليا"

امسكت بيده ونظرت في عينيه لتعطيه القوة وقالت:

"لا تفقد الامل فقد اخبرني رجل حكيم ان لا يوجد مشكلة ليس لها حل وهو يجلس امامي مباشرة الان"

ضحكا سويا ثم نظر لها جمال بحب كبير والابتسامة تعلو وجهه الاسمر تمتم جمال:

"حتى وان كان يوجد امل فلا يوجد مال"

هزت راسها واجابته:

"لا تقلق فالمبلغ الذي اعطتني اياه والدتي كبير جدا وهو بالدولار. دعنا نذهب الى المستشفى ونجري الفحوصات فقد نجد مايسعدنا"

عقف حاجبيه وسالها:

"الست سعيدة الان؟"

هزت كفيها وراسها واجابت بسرعة:

"انا لم اعني انني لست سعيدة ولكني عنيت اننا سنكون اسعد برؤيتك تسير مجددا. انا حقا اريد ان اسعدك كما اسعدتني وان اكفر عن مافعلته بك بحماقتي وغبائي ارجوك يا جمال ارجوك دعنا نجري هذه الفحوصات فهي لن تؤذي احدا"

وافقها جمال على اجراء الفحوصات رغم انه لم يضع الكثير من الامال عليها فهو يتذكر جيدا كلام الطبيب بان الامل قد يكون ضعيفا ولكنه لم يرد ان يدمر فرحتها لذا سايرها وهو سعيد لرؤيتها بهذا النشاط والحيوية.

كان اليوم التالي عصيبا فقد خضع جمال للكثير من الفحوصات وقد كان يرى نظرة الحزن على وجه الاطباء والممرضات عندما ينظرون الى النتائج وكان

الجميع يخبره ان الامل موجود ولكنه في اعماقه كان يعلم ان اعاقته صعبة الشفاء. كان يلاحظ ايضا نظرة الغضب على وجه زوجته الجميلة كلما كان الاطباء يطلبون المزيد من الفحوصات وفي نهاية اليوم عادا الى الغرفة التي استاجراها تعبين وكان بينهما صمت رهيب. حاول جمال ان يكسر حاجز الصمت ولكن ريم كانت غاضبة وحزينة ولم تتجاوب جيدا معه. كان يشعر انها بدات تشعر كما يشعر وكان خائفا من انها ستهجره مجددا اذا علمت انه لن يستطيع الوقوف على قدميه من جديد.

طلب العشاء في محاولة اخيرة منه كي يتقرب لريم ويدفعها للكلام معه ولكنها نامت قبل ان يصل الطعام لذا قرر ان يجلس خارجا ليشاهد النجوم وان لا يفكر باحتمالية فقدان ريم .

غلبه النعاس بيما كان في الخارج ولم يصحو الا مع اول خيوط الفجر. تراءى الى مسامعه صوت ريم تتكلم في الهاتف. توقع انها تتكلم مع اختها او والدتها ولكنه سمع مالم تصدقه اذنه. كانت ريم تتكلم بتحفظ شديد ويبدو

على صوتها الحزن والكابة. حاول ان يستمع لها عله يعرف ما يحزنها فسمعها تقول:

"ارجوك لا تاتي الى هنا انا وجمال نعيش بسعادة وانا لا اريد استعادة الماضي. اتركني وشاني"

ثم بكت بحرقة بينما كانت تستمع له. كان سلام يكلمها بعد ان حصل على رقم هاتفها . اغلقت الهاتف وهي حزينة وهنا وجد جمال الوقت مناسبا للدخول للغرفة. كان يتظاهر بالنعاس عندما دخل وعندما احست بدخوله تدثرت في فراشها وتظاهرت بالنوم بينما كان هو ينظر اليها متفاجأ.

لم يستطع ان يترك الامر يذهب قال لها وعلامات الحزن والقلق على وجهه :

"لقد سمعتك تتكلمين بالهاتف ارجوك لا تمثلي النوم"

لم تتحرك فاسترسل:

"هل كان هذا سلام؟ هل هو هنا؟ فقط اخبريني ان كان يضايقك؟"

رفعت الغطاء عن وجهها وقد امتلء وجهها بالدموع اقترب منها ومسح

دموعها وسالها بلطف ان لا تبكي ثم قال:

"اخبريني ما الامر؟"

قالت له وهي تنظر الى الاسفل:

"لقد كان هو. انه يريد ان ياتي الى هنا. لقد اخبرته مرارا ان يتركني وشاني

ولكنه لا يفهم"

ثم نظرت الى جمال وهي تمسك يده:

"انا نادمة على مافعلته في السابق ولا اريد ان انجر له الان ولكني لا استطيع

التخلص من سلام فهو يتصل بي كثيرا ويرسل لي الرسائل . يبدو انني محاصرة

وانا مختنقة يا جمال لا اعرف ماذا افعل "

ثم استلقت على السرير تبكي بيما كان هو ينظر لها بحزن عرف الان سبب

حزنها هذه الايام واحس بنار في قلبه فها هو من جديد يجلس على كرسيه لا

يستطيع لكم سلام في وجهه وتحطيم انفه. تنفس بعمق وهو يرمق جسدها

الملقى على السرير وهو يرتجف من شدة البكاء . ثم خطرت في باله فكره.

طلب منها ان تعطيه هاتفها ليتصل على سلام ففعلت.

اتصل جمال على هاتف سلام فاجاب الاخير من اول رنة :

"ريم حبيبتي اتمنى ان تكوني غيرت رايك"

اجابه جمال والغضب يتطاير من بين الكلمات:

"ايها الحقير ابتعد عن زوجتي والا ستندم يا عديم الاخلاق والمروءة"

لم يتكلم سلام بل اغلق سماعة الهاتف تاركا جمال وهو يكيل السباب والشتائم له. بعد قليل قال جمال لها:

"غيري رقم هاتفك ولا تخافي فانا ساتصرف مع هذا القذر وساربيه كما لم يفعل والديه قبلا"

شعرت بالطمانينة وهو يحتضنها ثم قبل وجنتيها وابتسم ابتسامته المطمئنة فارتاحت كثيرا كانت نظرات الحب بينهما لا توصف ومشاعرهما المتقدة قد

اجتاحت كيانهما فاصبحا واحدا يفكران ويشعران كانهما نفس الشخص. قال لها مازحا:

"انا سعيد انك نمت البارحة ولم تتناولين العشاء الذي طلبته ي الان جاهز ولا نحتاج للانتظار طويلا ريثما يجهز"

ابتسمت ثم نهضت لتغسل وجهها بينما ذهب الى المطبخ الصغير الذي في الغرفة ليسخن الطعام ثم اجتمعا على المائدة لياكلا . رن جرس الهاتف فنظر احدهما للاخر وهما يتوقعان ان تكون المكالمة من المستشفى.

نهضت ريم لتجيب ولكن المتصل لم يكن المستشفى بل والدة جمال. طلبت الام ان تتكلم مع ابنها وهي متحفظة وفي صوتها نبرة حزن ارعبت ريم.

سلمت ريم سماعة الهاتف لجمال وقالت له هامسة:

"يبدو عليها الحزن"

هز جمال راسه مبتسما كانه يطلب منها ان لاتقلق مع انه كان قلقا في داخله.

تكلم مع والدته التي قالت له بصوت مضطرب كثيرا:

"هل تستطيع الابتعاد عن ريم اريد ان اخبرك امرا مهما"

خرج جمال الى الشرفة ثم طلب من والدته ان تتحدث بحرية فقالت له:

"ان الامر بشان عائلة زوجتك. الامور ليست على مايرام ياولدي"

سالها وهو قلق:

"وكيف ذلك؟"

اجابته وهي تحاول ان تخبره الامر بشكل صحيح:

"حسنا بعد فضيحة ريم مع سلام عائلتها لم تتركنا وشاننا وكان والدها ياتي يوميا ليسالنا عن مكانها حتى خرج والدك يوما وصاح في وجهه وطلب اليه بدل ان يتوعد بقتل ابنته المسكينة التي هي الان على ذمة رجل يحميها عليه ان يذهب الى سلام ويبرحه ضربا كي ينتقم منه ويواجهه رجل لرجل بدل ان يتقوى على فتاة ضعيفة. يبدو ان والدها سمع كلمة والدك فقد كلم ازهر ليعود من السفر ويبدو ان الامر اما قاتل او مقتول. ان الموضوع كبر كثيرا وخصوصا بعد ان بدا سلام بالحديث علنا في المقهى عن علاقته بها. لقد دمر سمعتها يا بني وهو يتكلم عن اتصاله المتكرر بها لحد هذا الوقت"

احس جمال ان الدم بدا يغلي في عروقه فها هو يعلم من ارسل تلك الصور لوالد ريم ولكنه كان كعادته كتوما وقادرا على ضبط نفسه. قال لوالدته محاولا اخفاء نيران غضبه ولكن كان الامر صعبا قليلا:

" انه يتصل بها ولكنها ترفض اتصالاته. لقد زاد موضوع سلام عن حده كثيرا اتمنى لو قتلته قبل ان اسافر لكنت اسكته للابد"

قالت له الوالدة محاولة ان تهدئه:

"ان الله يمهل ولا يهمل يا ولدي ولكل ظالم يوم. انتبه انت لنفسك وان احتجت مالا فقط اخبرنا وسنرسل لك المال . بالمناسبة لقد اخبرتني هند ان اعطيها عنوانك لترسل لك حواله مالية في حال احتجت للمال"

شكرها جمال ثم اغلق سماعة الهاتف وهو يغلي. اخذ نفسا عميقا ثم دخل الى الغرفة وهو صامت يحاول ان لا ينظر الى ريم فقد كان يحس ببعض الغضب تجاهها. قالت له ريم قلقة:

"هل كل شي بخير؟"

اجابها بعصبية:

"متى اخر مرة تكلمت مع اختك او والدتك؟"

اجابته بتردد وهي تفكر:

"قبل يومين. كانت اختي قلقة من عودة ازهر لذا قالت لي انها لن تكلمني لفترة لانها لا تريد ان يعرف ازهر بالامر"

سالها وهو غاضب:

"لماذا لم تخبريني ان ازهر عائد؟"

قالت له متحيرة:

"انا اسفة اعتقدت انك افضل حالا بدون معرفة عودته. لماذا هل حصل شي"

سكت واغلق عينيه ثم قال بعد فترة صمت مرت كسنوات من الجفاف والخوف:

"لا شي انا فقط افضل لو تخبريني بكل شي هذه هي طبيعتي احب ان اعرف كل شي عن زوجتي ولا اريدها ان تخفي عني شيئا واليوم اكتشفت انك

تخفين عني الكثير اول شي مكالمات سلام لك وايضا عودة ازهر . لا تخفي

عني شيئا بعد اليوم فانا هنا لاحميك فلا تخافيني"

فجاءة بدا الغضب يتلاشى عن صوته عندما راى حبا كبيرا في عينيها الواسعتين.

كان فمها على وشك الابتسام وهي ترى خوفه عليها ثم نهضت واحتضنته

مع ابتسامه عريضة وقالت له :

"جمال! هل انت حقيقي ام ان عقلي يخدعني"

نظر اليها مبتسما كان ماءا باردا قد سقط على بركانه الذي كان يغلي فاطفاءه

وحل محل الحمم النارية حدائق عدن . قبلها ثم قال لها:

"مارايك؟ هل انا حقيقي؟"

احست بخجل شديد وهو يدقق النظر فيها فنظرت الى الارض وهي تبتسم

فرفع راسها بيديه وسالها بحنان:

"هل ما اراه حياء؟"

نهضت بسرعة وابتعدت عنه ثم قالت له بصوت مضطرب خجل:

"هل تريد بعض الشاي؟"

ضحك وقال لها بمرح وهو يحك اذنة وينظر ارضا:

"بالتاكيد ولكني من يحضره فقد كانت اخر مرة صنعت فيها الشاي عصيبة ولم تكفي ٥ ملاعق من السكر كي تحسن طعمه المر"

نظرت له من طرف عينيها وهي تقول بزعل:

"يبدو انك فقدت حاسة الذوق خاصتك فالشاي خاصتي نتاج خبرة سنين"

ثم ضحكت وهي ترتب السرير بينما ذهب هو ليحضر الشاي في المطبخ الصغير الموجود في الغرفة التي يسكنان بها.

كان ازهر يجلس في غرفته بعد يوم سفر طويل عندما جاء له والده يستحثه على تبديل ملابسه بسرعة. قال له ازهر وهو متعب :

"الا يمكننا تاجيل الموضوع للغد انا متعب"

نظر اليه الاب شزرا وصاح به:

"سمعة اختك على كل لسان وانا انتظر قدومك كي نذهب الى ذلك السافل ونعاقبه وانت تريد الانتظار؟ سنذهب الان ونضربه ضربا مبرحا ونجعل الحي باكمله يشاهد هذه العقوبة كي نبرا اختك من كلام الناس ونظراتهم. ثم بعد ان تعود ساقتلها بيدي هاتين على تدنيس سمعتنا مع سلام وهروبها مع جمال"

كان التاثر والغضب واضحا على وجه الاب فقد عاني الامرين من نظرات الناس وكلامهم كما عانت العائلة باكملها من ويلات النميمة التي لا تنتهي بل تتنامي كالفطريات تتكاثر في الظلام. نهض ازهر واخذ معه عصا كبيرة بينما اخذ الاب مسدسه الشهير والغضب قد اخذ منه كل ماخذ.

طرق الاب وابنه الباب على عائلة سلام وسمعا صوت ام سلام من خلف الباب تسال عن هوية الطارق فقال والد ازهر انه يريد التحدث مع سلام. اختفت الام لبضع دقائق ثم فتحت الباب ليخرج والد سلام الذي تفاجأ من منظر ازهر ووالده الذي لايبشر بخير. سالهما عما يريدانه فقالا انهما يريدان التحدث مع سلام. اجابهما والد سلام بقلق:

"لا تحل الامور بهذه الطريقة يا حاج"

صاح والد ازهر به :

"وباي طريقة تقترح استرداد سمعة عائلتي يا حاج؟ ابنك يسير في الشوارع يشوه سمعتها اينما ذهب وهي بريئة مما يقول اليس من الاجدر بك ان تحافظ على سمعة بنات حيك بدل تشجيع ابنك على الفضيحة؟ هل هذه تربية تفخر بها؟"

اجابه والد سلام وهو مطاطا الراس يعرف جيدا ان كلام والد ازهر صحيحا:

"كلامك صحيح يا شيخ فانا لم احسن تربية ولدي ولا انت فعلت. وليس جميعنا ربينا اولادنا كتربية جمال"

جن جنون ازهر عندما سمع اسم جمال فبدا يصرخ ويتوعد بينما كان والده هو الاخر يشتم وفي وسط الجنون ضرب ازهر والد سلام في محاولة منه لابعاده عن باب المنزل كي يدخل ويقبض على سلام. سقط الرجل الطاعن في السن على الارض بينما دخل ازهر الى داخل المنزل وهو ينادي على سلام كي يخرج ويواجهه كرجل ولكن سلام لم يكن في المنزل . خرج ازهر من المنزل

واخبر والده الذي بقي في الخارج يحاول ان يساعد والد سلام الذي شج راسه وملء دمه دشداشته البيضاء اخبره ان سلام غير موجود فصاح والد ازهر بوالد سلام الذي نهض وهو ممسك براسه يحاول ان يوقف تدفق الدماء:

"يجب ان تعلم انني لن اترك ابنك حتى اقتله فهذه هي الطريقة الوحيدة لتنظيف سمعتنا"

ثم ترك والد سلام وذهب وسط تجمع الناس حولهم ومحاولة البعض منهم مساعدة الرجل المجروح كي يدخل الى المنزل ويرتاح بينما كانت زوجته تكلم سيارة الاسعاف. عاد الرجلان الى المنزل وهما في فورة من الغضب الذي استهلك والد ازهر فسقط هو الاخر ارضا وهو يرتجف من التعب والانهاك وبالكاد يتنفس فكلمت عائلته سيارة الاسعاف كي تاتي لتاخذه الى المستشفى. بعد قليل كانت هنالك سيارتي اسعاف واحدة امام منزل سلام والاخرى امام منزل ازهر ينقلان الاباء المنكوبين الى المستشفى عسى ان ينقذوهم من تدهور صحتهم وان فعلوا فمن سينقذهم من نيران غضبهم وسخطهم.

بعد الكثير من الفحوصات خرج والد سلام من المستشفى بينما بقي والد ازهر فقد اصابته ذبحة صدرية ولزم بقائة في المستشفى لبعض الوقت. لم تنتظر الاخت الاصغر لريم طويلا فقد كلمت اختها كي تخبرها بما حصل.

كانت ريم ترتجف قلقة على والدها وقد اخبرت جمال بما حصل بدون ان تنتظر . راى جمال قلقها وخوفها على والدها واحس ان من الواجب ان يعودا الى العراق كي يزورا الوالد ويطمئنان عليه وعسى ان يكون مرضه قد غير من موقفه وقلل من غضبه وبالذات عندما يرى ان ابنته سعيدة مع زوجها ومع حياتها الجديدة.

بعد ان كلم جمال شركة السفر لم يستطع ان يجد حجزا لهما معا الا بعد يومين. كان ذلك صعبا على ريم التي كانت تتوق لرؤية والدها وكان حزنها جليا فقد جلست في فراشها بدون حراك ودموعها لم تفارق عيونها ولم تنفع اي محاولة من جمال للتخفيف عنها او حملها على الاكل او الشرب. مر يوم كانه دهر على جمال وريم ثم اتصلت المستشفى التي اجرى فيها جمال فحوصاته بهما.

اجاب جمال بدون ان تعلم ريم بان المستشفى اتصلت:

"نعم انا هو؟"

اجابت الممرضة :

"سيدي لقد انتهت نتائج فحوصاتك ويحب الطبيب مقابلتك في اقرب وقت ممكن"

سالها جمال بفضول:

"الا يمكن ان تخبريني بالنتيجة عن طريق الهاتف؟"

اجابته:

"كلا يا سيدي انا اعتذر"

سالها بنفاذ صبر :

"هل استطيع الحضور اليوم؟"

اجابته وهي تحاول تنظر الى قائمة المواعيد:

"نعم في الساعة ال٤ مساءا باماكنك الحضور لمناقشة امر الفحوصات"

اغلق سماعة الهاتف ثم نظر الى الساعة وقد كانت تشير الى الثانية مساءا لذا قرر تبديل ملابسه والخروج ليترك لريم مساحة كي تخرج كل حزنها بدون مراقب. خرج بعد ان اخبرها انه سيستنشق بعض الهواء ثم ركب التاكسي وذهب الى المستشفى. وصل قبل موعده بكثير لذا قرر الجلوس في غرفة الانتظار ومراقبة الناس ولحسن حظه كان هناك موعد قد الغي لذا تمكن من الدخول قبل موعده.

جلس جمال بقلق رغم انه كان متاكد ان الموضوع منتهي وان الامل معدوم ولكن شي ما في اروقة قلبه الحزين كان يتمنى لو ان حلمه يتحقق رغم المطبات التي لا يمكن تجاوزها. قال الطبيب وهو ينظر الى الاشعة :

"اصابتك معقدة جدا. في مكان صعب. لقد اجرينا العديد من التحاليل ولمناطق مختلفة من ظهرك وساقيك علنا نجد ثغرة ممكن من خلالها مساعدتك ولكن الامر صعب جدا"

احس جمال ان النهاية اقتربت لا امل وانتهى الامر!

الفصل الثامن

استرسل الطبيب بحذر:

"الامل بشفائك موجود ولكن ليس في مستشفانا. العملية التي تحتاجها حساسة جدا يا سيدي وتحتاج الى معدات متطورة وجراحين لديهم خبرة بمثل هذه الامور. انا اسف ولكن ليس لدينا الخبرة الكافية لعمل العملية واذا جازفنا بإجرائها وفشلت قد تخسر حياتك فلا مجال للخطا فيها"

كان جمال يحرك راسه موافقا على كلام الطبيب بشكل الي وهو يشعر بخيبة امل لا يعرف ماسببها فقد كان متاكدا من الجواب. هذا ماقاله الطبيب في العراق فلماذا هو حزين.

عاد جمال خائبا الى زوجته التي كانت تجمع الاغراض استعدادا للسفر . كان حزينا ولكنه اخفى حزنه كعادته وتظاهر بالابتسام ثم شرع بمساعدتها . لم تجر بينهما اي محادثة لفترة ثم كسرت ريم الصمت قائلة:

"لقد كلمتني اختي مرة اخرى واخبرتني ان ابي اصبح افضل وطلبت مني ان لا اعود فازهر لديه اوامر من والدي بقتلي."

ثم ضحكت بهدوء واسترسلت:

"انا مرتاحة الان بعد ان اطمأننت على صحة ابي ولكني مشتاقة الى رؤيته ورؤية عائلتي وفي نفس الوقت خائفة منهم. هل تعتقد ان ابي قادر على ازهاق روحي ؟ سارضى بالضرب ان غفروا لي مافعلت بعدها "

ثم هزت راسها وهي تبتسم بينما اجابها جمال بعصبية:

"لن يحصل اي من هذا وانا على قيد الحياة. سنعود وستزورين عائلتك ثم سنبقى في بيت عائلتي ريثما اجد عملا وسنترك ذلك الحي للابد ففيه الكثير مما لا اريد تذكره"

رفعت عينيها وقد غابت الابتسامة عن شفتيها وقالت له:

"انا السبب اليس كذلك؟"

قال لها بحزم:

"كلا فانت ضحية مثلي تماما تخبطت بامواج الحياة العاتية وارتطمت بصخور لا يمكن ان تنجو اي سفينة من قساوتها. سنترك الماضي خلف ظهورنا . هذا

ما انوي فعله وانت يجب ان تفعلي مثلي اذا اردت ان تسعدي فالماضي لا يحدد المستقبل الا اذا اردناه ان يفعل وجل من لا يخطئ"

تحول صوتها الى مايشبه البكاء ثم قالت له:

"نعم ولكن خطأي كان عظيما"

اجابها وهو يريد التخفيف عنها:

"على الاقل انت اعتذرت وندمت وبكيت وكفرت عن ذنبك الف مرة. مابال اخوك الذي لم يرف له جفن عندما فعل فعلته ووالدك الذي يصر على تحميلك مسئولية مايحصل في عائلتك ويغض البصر عن الجناة الحقيقيين. والوغد سلام الذي لا يريد ان يتركك وشانك وهو يتقصد التشهير بك بدون اي مروءة. هل مايفعلونه مبرر؟ لماذا؟ أ لان تركيبهم الفسيلوجي مختلف يجب ان نعاملهم باختلاف؟ ام لان مجتمعنا يتعامل بما الف عليه الاجداد"

خفف كلامه الكثير من حدة حزنها واشرقت شمس ابتسامتها من جديد بينما كانت تقفل الحقيبة الاخيرة ثم قالت له وهي تمسك بطنها:

"هل سناكل قبل السفر ام سنعتمد على ماتقدمه المضيفات؟"

سالها بمرح وقد بدل نبرته الحازمة تماما:

"هل تحبين ان نذهب الى المطار الان ونتناول وجبة خفيفة قبل السفر؟"

اومأت براسها موافقة فبدلا ملابسهما ثم دفعا المستحقات الى مالكة الغرفة ثم خرجا الى المطار حيث اشتريا بعض الساندويجات اللذيذة وجلسا ياكلانها ويتكلمان بمرح عما سيفتقدانه في هذه الدولة الجميلة.

وصلت الطائرة الى العراق ليلا واتجه جمال الى منزل عائلته مباشرة حيث كان والداه بانتظاره . دخل الزوجان الى غرفتهما ليرتاحا. في الصباح استيقظت ريم مبكرا وذهبت الى المطبخ لتحضر الفطور حيث وجدت والدة جمال قد استيقظت هي الاخرى. كانت والدة جمال متعجبة من التغير الذي حصل لريم وكانها شخصا اخر فقد زال الغضب والكره عن ملامحها وباتت اكثر سماحة وابتساما. قالت ريم للحاجة:

"دعيني احضر الفطور فقد تعلمت بضع اكلات ماليزية ستعجبكم"

ابتسمت لها الحاجة ثم جلست على الكرسي تراقبها وقد راقها تغير حالها كثيرا وكانت سعيدة بريم كزوجة لابنها وشهدت كم غيرها جمال وهي الان كنسخة منه تماما. سالتها الحاجة وهي تبتسم:

"كيف هي احوالكما الان انت وجمال؟"

اجابتها ريم وهي خجلة من سؤالها:

"نحن بخير. انا لا اتصور حياتي من دونه . انه انسان مختلف"

هزت الحاجة راسها مؤكدة على كلام ريم ثم قالت:

"لقد كنت محظوظة برؤية اولاد هند قبل موتي وانا اتمنى ان ارى اولاد جمال ايضا. اعتقد انهم سيكونون في قمة الجمال كامهم بالضبط"

ضحكت ريم وهي تطأطأ راسها خجلا وقد زاد احمرار وجهها بسبب ما قالته ام زوجها. سمعا صوت جمال من باب المطبخ:

"امي اتركيها وشانها"

اجابته الوالدة بحزم:

"لاتتدخل انت في هذه الامور واهتم بشؤنك الخاصة"

نظر الى والدته وهو يتثائب ثم تمتم:

"انها زوجتي يا امي اعتقد ان من شاني حمايتها منك"

ثم اخرج بعض الماء من الثلاجة وهو يضحك بينما والدته تراقبه وصبه في كوب ليشربه فاسرعت ريم لتساعده. كان هذا المشهد كافيا لوالدته كي تتاكد من ان ابنها سعيدا.

بعد الفطور كلمت ريم اختها واخبرتها انها تريد ان تاتي لتزور والدها ولكن اختها اخبرتها ان لا تاتي فازهر منزعج مما حصل للوالد بسبب عائلة سلام وهو يتوعد لسلام ولها. لم تهتم ريم بل اصرت على رؤية والدها لذا بدلت ملابسها ثم ذهبت مع عائلة زوجها الى منزل عائلتها.

طرقت العائلة الباب ففتحه ازهر ثم وقع نظره على اخته فحاول ان يجذبها من ذراعها فمنعه جمال وقد فاقه جمال قوة جسدية لذا اكتفى ازهر بالنظر شزرا لها بينما كانت هي تتلافى نظراته الشرسة. تنحى ازهر جانبا بينما دخلت العائلة المنزل وقد قادتهم والدة ازهر الى غرفة الاب المريض.

هرعت ريم الى والدها وهي تبكي وارتمت في احضانه بينما كان هو يشيح ببصره عنها الى ان تكلم جمال محاولا ان يرضيه:

"ارجوك يا عمي لقد تغيرنا جميعنا بسبب الظروف وانا اتمنى منك ان تسامح ريم وتسامحني اذا اقترفنا شيئا قد تعتبره خاطئا وانت الكبير هنا فهلا عفوت عن الصغار؟"

كان الجميع ينظر اليه بتوسل كي يحتضن ابنته وكان هو في نفسه مشتاقا لها وقلبه متلهف لاحتضانها لذا فقد طوقها بذراعية وقال لها:

"حمدا على سلامتك يا ابنتي"

ثم مد يده الى جمال فسارع جمال الى امساك يد الشيخ الدافئة كعائلة متحابة . قال لهم الشيخ بمحبة:

"اه يا ولدي لكم تمنيت ان يكون لي ولد مثلك فبرغم اننا من اذاك ها انت هنا كي تحافظ على تماسك العائلة. انك فعلا عملة نادرة"

كان كلام والد ازهر مؤثرا جدا وقد كانت دموعه اكبر برهان على صدقه ولكن الامر لم يدوم طويلا حيث سمعوا طرقا مجنونا على الباب فذهب ازهر

ليفتحه. سمعا بعدها صوت عراك وتدافع ثم في لحظة كان سلام في الغرفة يهدد ويتوعد بسبب ماحصل لوالده ثم نظر الى ريم التي كان وجهها قد اصفر ودموعها بدات تتجمع وهو يتبجح:

"لقد استطعت اقناعهم جميعا بانك بريئة بينما انت هي الفاسدة الوحيدة في هذا الحي"

استفزت كلماته جمال الذي صرخ به وهو يتمنى لو يقتله :

"ايها الجبان عديم الضمير زوجتي اشرف منك ومن امثالك"

كانت ريم تنظر الى جمال الذي كان يدافع عنها بضراوة وهي تتمنى لو تبرح سلام ضربا وتقتله فتتخلص منه وتنظف الدنيا من امثاله ولكن سلام قاطع افكارها قائلا بتهكم :

"ومادليلك؟"

اجاب جمال باحتقار وهو يمسك قبضة كرسية المتحرك بشراسة وقد كاد ان يكسرها:

"لانني زوجها ايها القذر"

ثم فجاءة سمع الجميع صوت طلقة في الهواء فالتفتوا ليروا ازهر يحمل مسدسا بيديه وفي عينيه غضبا كبيرا ثم قال لسلام وهو يلوح بالمسدس:

"اخرج من منزلي حالا وسنصفي حسابنا فيما بعد"

لم يثني المسدس سلام عن الهجوم على ازهر الذي كان يتلقى ضربات قاسية من سلام انهكته. كان جمال يحاول ان يبعد الرجلين ولكن جذلا كانا في اشتباك شديد. طلب جمال من الجميع مغادرة الغرفة بسبب المسدس الذي لا يعرف احد في اي يد هو الان وطلب من والده الاتصال بالشرطة . ساعدت ريم ووالدتها الاب على الخروج بينما خرج الجميع ولم يبق احد في الغرفة سوى سلام وازهر وجمال.

كان الجو محتدما في الغرفة الصغيرة وكان سلام وازهر يكيلان لبعض الضربات والشتائم بينما كانا ارضا حاول جمال ان يسحب سلام من فوق ازهر ولكن سلام كان ممتلئا وضخما وقد سقط بكل قوته على ازهر لذا اصبح مستحيلا

على جمال سحبه. لم تنفع الكلمات التي حاول جمال تهدأت الرجلين بها واستمر العراك لقرابه ١٠ دقائق ثم سمع الجميع دوي رصاص مرة اخرى.

توقف الرجلان على العراك ليتفقدا جسديهما ولكن لا دماء ثم تفقد جمال جسده لكنه كان سليما فرفع بصره ليرى ريم امامه وهي تستند على الحائط وقد اصيبت برصاصة في صدرها.كانت قد جاءت لتستحثه على الخروج كي لا يصاب بسبب تهور ازهر وسلام. اصابت الرصاصة الطائشة هذه المرة جسدها النحيل فتطاير دمها في كل مكان. كان ازهر وسلام مذهولين من هول الصدمة وقد انزويا ينظران لها وهي تتمايل على الجدار ثم تسقط ارضا. كفراشة ضربت بحجر كسر جناحيها فلم تعد قادرة على التحليق عاليا بين الورود. كانت بالكاد تتنفس وقد اغلقت عينيها جزئيا. هرع جمال لها ورمى بنفسه من على كرسيه وهو يصرخ بجنون وينادي باسمها ففتحت عينيها لتلتقي عينيها بعينيه فابتسمت بصعوبة كان يوجد الكثير من الكلام المخبأ خلف تلك الدموع كانت تتمنى لو انها قالت لزوجها ما في دواخلها ولكنها

وان كانت خائفة من زيارتها لعائلتها لم تبوح بمكنوناتها لجمال . قالت له

بصوت متقطع خاوي يقترب اكثر الى العالم الاخر:

" سامحنني يا حبيبي "

ثم توقفت عن الحراك بينما كانت عيناها تنظران الى جمال بلهفة ومحبة ثم

سقطت دمعة خالية من الروح لتحتضن كف جمال الذي كان يمسك بوجهها

بيديه ويقبله وهو ينظر اليها كانه يريد ان يختزن جمالها في ذاكرته المحطمة.

سقطت دمعته الساخنة من عيونه كانها حمم من بركان هائج سقطت على

وجهها الذي شحب لونه وقد كان واضحا ان لا روح بقيت في هذا الجسد

المسجى. همس لها وهو يسرح شعرها بيديه:

"حبيبتي ريم لا تتركيني ارجوك سارضى باي شي فقط لتكوني معي... ريم

ارجوك لا تذهبي ... لنتبادل الاماكن فهذا الوجه الجميل لا يستحق الموت"

نقلت جثة ريم وسط بكاء وعويل من عائلتها الى المشرحة ثم دفنت في اليوم

التالي بينما القي القبض على ازهر وسلام بتهمة القتل فقد ثبت ان المسدس

كان بيد ازهر وقد حثه سلام على الاطلاق ولم يكونا يعتقدان ان هذه الطلقة ستقتل في الحقيقة من كانا يتشاجران من اجلها.

موت ريم اعاد الامور الى نصابها فقد استحق اخوها عقوبة طويلة على قتلها بينما ارتدع والداها وتابا عن غرورهما . سلام ايضا نال نصيبه من العقوبة فبعد ان لعب بعقول الكثيرات ها هو الان مسجون بسبب احداهن.

بعد اسبوع من موت ريم استطاعت هند ان تجد طبيبا كي يقوم بالعملية من اجل جمال وقد باعت عائلتها المنزل واشتروا منزلا اقل سعرا بينما حولوا الباقي للمستشفى التي سيجري فيها جمال العملية الجراحية بالاضافة الى بعض المساعدات المالية من عائلة ازهر الذين اصروا على جمال لقبولها. كان جمال جالسا في صباح يوم العملية ينظر الى صورة بين يديه وهو يبتسم ابتسامة حزينة قد اضناها الالم والفراق ثم تمتم متحدثا للصورة:

"ساجري العملية يا ريم فقط كي اموت فلا حياة لي من بعدك"

كان الجميع ينتظر خروج جمال من العملية املين نجاحها وان كانت نسبة النجاح قليلة جدا حتى والدا ريم كانا بانتظار نتائج العملية وهما يامل ان

نجاحها. استغرقت العملية ٧ ساعات متواصلة ليخرج الطبيب بعدها الى هند وزوجها اللذان كانا بانتظار خروج جمال ويخبرهما بان العملية تمت نجاح وان جمال سيسير مرة اخرى!

كانت فرحة لا توصف لهند ولوالديها ولكن عندما استفاق جمال كان حزينا فقد تمنى الموت ليصبح بجانب زوجته التي غيبها القدر عنه وشائت الاقدار ان تموت بنفس المسدس الذي اطلق عليه النار واعاقه وبنفس اليد الطائشة.

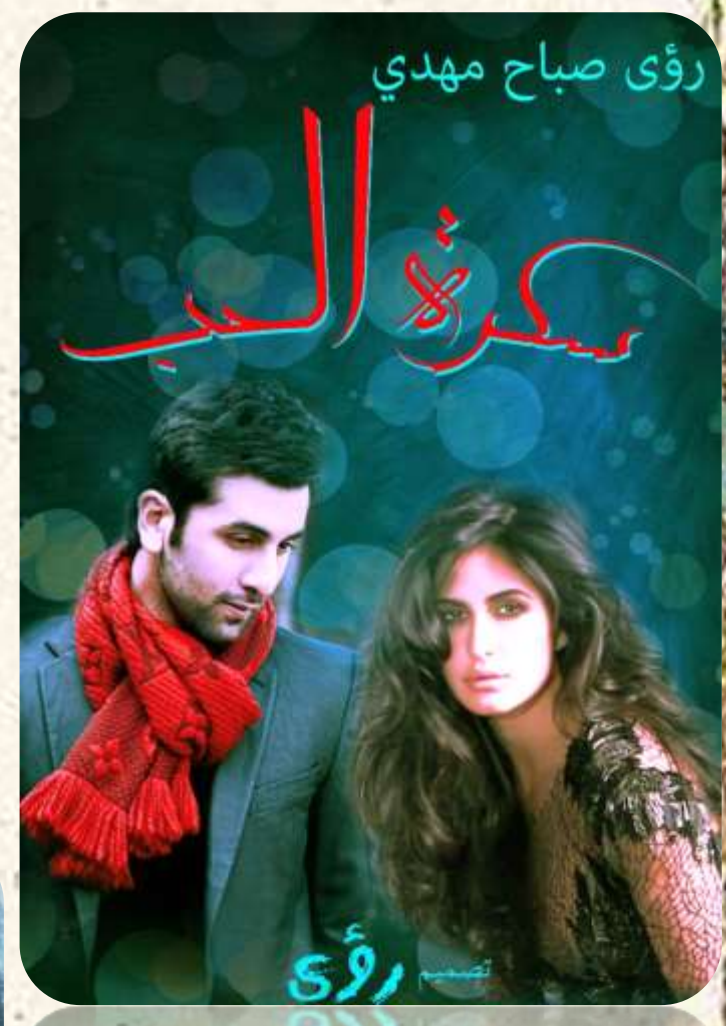
بعد سنة من العلاج استرد جمال كامل صحته فهل سيسترد ابتسامته التي دفنها مع زوجته؟

انتهت بفضل الله تعالى

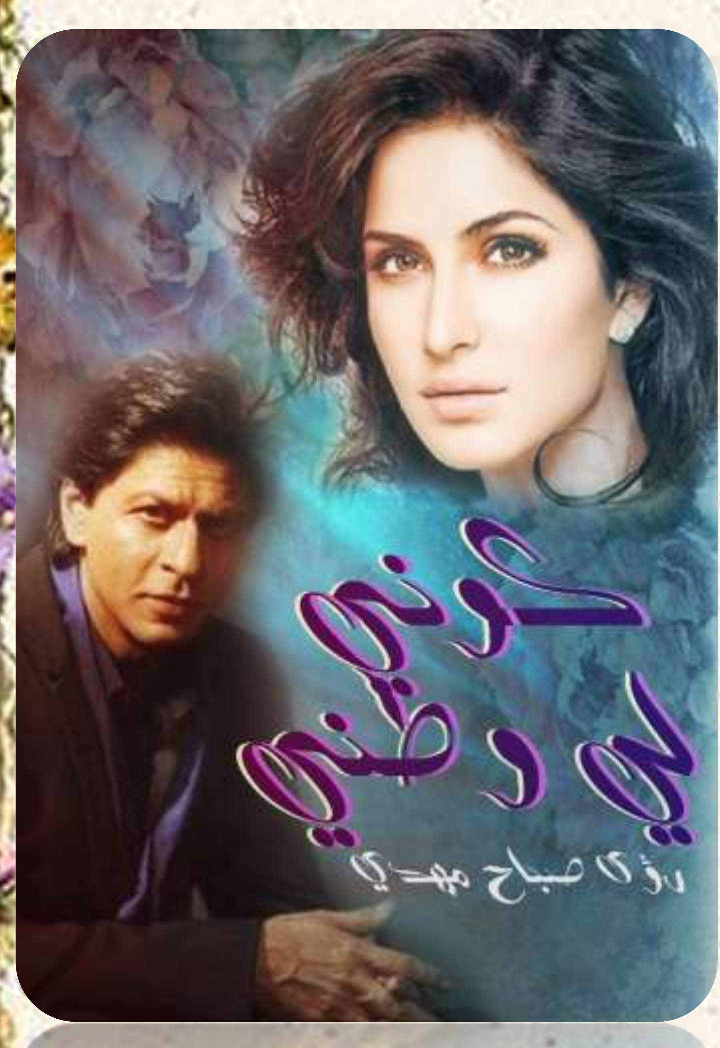
لا تنسوا متابعة الجزء الثاني للقصة "كوني لي وطني"

واذا احببتم معرفة قصة بطلة كوني لي وطني تابعوا قصة "سكرة الحب"

هذه القصة عمل خيالي ولا احلل أي تصرف فيها بدون الرجوع لي



رؤى صباح مهدي
سكرة الحب
تصميم رؤى



كوني لي وطني
رؤى صباح مهدي